الفصل الأول

الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية

- الجغرافيا
- العزلة والانعزال
- التاريخ
- تاريخ عصر النهضة
- السكان
- الثروة البشرية
- العسكرة اليابانية
- الاحتلال الأمريكي
- التوفيق والملائمة
- التغيير المخطط

الجغرافيا

تنفرد اليابان عن كافة بلاد العالم بانعدام وجود الحيوانات الأليفة كالأغنام والأبقار والجمال في أراضيها والتي ساعدت الإنسان على مُرِّ التاريخ في الزراعة والتنقل. وهذه الميزة الجغرافية الفريدة لليابان في انعدام الحياة الرعوية أو حياة البداوة أسهمت في التركيز على استخدام مهارات ومعرفة الإنسان في الزراعة لأرضهم الزراعية الخصبة والمحدودة المساحة، مما أسهم بشكل واضح في تكثيف الإنتاج بزراعة الأرز بطريقة جماعية، حيث إنه من المعروف أن العائلة الواحدة لا يمكنها إنتاج كفايتها من الأرز لوحدها إلا إذا تكاثفت الجهود الجماعية بعدد من العائلات لإنتاج ما يكفيهم جميعاً مع وجود فائض عن حاجتهم. هذا الانفراد وهذه الميزة كونت لديهم حضارة الإنتاج المكثف (Mass Production) منذ آلاف السنين والتي أصبحت بقيام النهضة الصناعية واختراع الآلة البخارية لاحقاً وظهور الإدارة العلمية في القرن التاسع عشر أهم عنصر محقق للتنمية. إن ظاهرة الإنتاج المكثف تعود جغرافياً لهذه الميزة الانفرادية لليابان بانعدام الحياة الرعوية مما أسهم لاحقاً في العصر الحديث في تجذير الإنتاج المكثف الذي يُعَدَّ حالياً أول قاعدة إستراتيجية للمعجزة اليابانية الحديثة.

أثر الأرض من حيث الموقع والطقس والحجم الصغير بكل المقاييس والثروات الطبيعية المعدومة واضح جداً على حياة اليابانيين كحقيقة ملموسة من حيث القدرة الحدية للتنمية والتوجه العام. والاعتقاد السائد بصغر حجمها يرتبط بمقارنتها بجيرانها من حيث عدد السكان إذ إن سكان الصين والهند يصل كل منهما إلى ألف مليون وأمريكا وروسيا كلاهما إلى ما يقارب (٢٥٠) مليوناً لكل منهما وكذلك أندونيسيا والبرازيل لكل منهما ما يقارب (٢٥٠) مليوناً، بينما تصل

اليابان إلى ٢٠٪ فقط من حجم أندونيسيا وعدد سكانها يزيد عن ١٢٥ مليون ياباني، وبهذا العدد من السكان فهي أكثر من ضعف أي دولة أوروبية من الدول الأربعة الكبرى. ومع كل ذلك، تُعَدُّ الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث معظم المقاييس الاقتصادية. إلى جانب ذلك، يجب أن لا ننسى أن أكبر مشكلة تجابه اليابان في أن ١٢٪ فقط من أرضهم يمكن استغلالها زراعياً هذا إذا أخذنا كذلك في الاعتبار أن فترة الزراعة تصل إلى ٢٦٠ يوماً بحدها الأعلى لأسباب مرتبطة بانعدام الزراعة بشكل كلي في فصل الصيف بأسباب الرطوبة. وبالإضافة إلى كل ذلك، فصل الشتاء البارد الذي يرافقه الأعاصير التايفونية التي تؤدي إلى الخسائر في الأرواح والموجودات بشكل مؤثر. وهذا التحليل التشاؤمي في كثرة الزلازل والهزات الأرضية وأكبرها الهزة الأرضية التي اجتاحت العاصمة طوكيو عام ١٩٢٣ وأتت على كامل المدينة بسكانها وما يتردد دائماً أن اليابان تجتاحها هزات أرضية متفاوتة والاعتقاد السائد بقدوم هزة أرضية اجتياحية كل ستين عاماً وتقدير اليابانيين فيما إذا اجتاحت بلادهم في الوقت المعاصر مثل هذه الهزة(الزلزال) وأثرها الاجتياحي على البلاد بوجود المباني الشاهقة في الوقت الحاضر الذي يختلف عما حدث عام ١٩٢٣ عندما انهدمت معظم مباني مدينة طوكيو يعزز تركيزهم على البقاء الذي يتردد على ألسنة قياداتهم في المحافل والندوات.

ولأننا نريد هنا فقط أن نركز بشكل واضح على العلاقة ما بين الجغرافيا وخصائص الإدارة اليابانية، فإننا نستخلص أن جغرافيا اليابان تفتقر إلى الثروات الطبيعية وحجم أرضهم الممكن استخدامها صغير جداً بشكل واضح مقارنة بأي بلد آخر بالعالم، مع إضافة الخاصية اليابانية المتمثلة بالهزات والانفجارات البركانية. من هذه الخصائص الجغرافية تنبعث لنا خصائص الإنسان الياباني في

تسلط هاجس القلة والندرة والبقاء. وإن كـان لهذه الأبعاد الثلاثة في القلة والندرة والبقاء ارتباط في كـثير من خصائص الإدارة اليابانية الأخـرى، فإنني سأركز على دور الجغرافيا فقط في التميز الياباني في موضوعي الكفاءة والصبر.

الأرض الصالحة للاستـخدام صغيرة مقـارنة بعدد السكان؛ ولذلك فليس أمام اليابانيين أية وسـيلة إلا أن يقوموا علـى استغلال الأرض بكفـاءة وإنتاجيـة وقدرة عاليـة كمـا ونوعا آخـذين بعين الاعتبـار حضـارتهم المتمـثلة بالقلة وندرة الموارد الطبيعية، والرغبة في البقاء بحكم الجغـرافيا الطبيعية من زلازل وهزات وأعاصير. الكفاءة أو القدرة الإنـتاجية تعني استـخدام الموارد المعروفة من (مـال، ومعدات، وأرض، وإنسان، اوتقنية) بطريقة تؤدي إلى الإتيان بشيء جـديد أكبر من مجموع العناصر. والكفاءة التشغيلية تعني الاستـفادة من عناصر الإنتاج بأكبر كمية ممكنة. والكفـاءة تعني إنسيـاب العمل بمـرونة وتيسـير وسـلاسة لا تعـيق ولا تؤثر على السلسلة المتعاقبة والمتـرابطة للأشياء والناس والأفكار. الكفاءة تعني الرتابة والتنظيم والتتابع والانضباط. لا يوجد وسيلة أمام الشعب الياباني أمام الجغرافيا إلا أن يكون ذا كفـاءة من جمـيع أبعادهـا؛ لأن حجم الأرض الصـالحة للاسـتعمـال الزراعي والسكني ولبناء الطرقات فوق الأرض وتحتها ذو حجم لا يسمح إلا بأن يكون كل شيء مرتباً ومنضبطاً . إن أي تأخـير ولو لدقائق في القطارات فوق وتحت الأرض داخل طوكيـو مثلاً أو ما بين مـدينة وأخرى قد يؤدي إلى خسـائر لا يمكن لليابان تحملهـا مطلقاً . إن حدوث اختنـاق في أحد الطرق بسبب حادث مـروري وتجمع المارة قد يؤدي إلى خـسائر على كافة الطرقـات للمدينة أو للبلد ككل. و التغـيير اليومي في الإبداع والابتكار الـياباني وفي استخـدام التقنية والكمـبيوتر في كـافة جوانب الحياة كله ينصب على الكفـاءة ناهيك عن الحتمية للكفاءة بكافة مـقاييسها

وليس أمامهم أية وسيلة إلا الكفاءة وهي من أهم خصائص الإدارة اليابانية، إذ إن مستوى الإنتاج قد ازداد بنسبة ٤٠٠٪ مقارنة بالولايات المتحدة خلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، لأن خصائص الإدارة اليابانية تنادي ببساطة بالمشاركة في الإدارة التي هي الأساس والقاعدة للارتقاء بمستوى الإنتاج.

اليابان مليء بالهزات الأرضية والانفجارات البركانية. إن الطاقة الكامنة تحت سطح الأرض تنمو حتى وقت تفجرها، وبطريقة مشابهة هناك شيء يتفجر داخل الياباني. فالياباني قابل للتعبئة وغير قابل للتنفيس كغيره من شعوب العالم لهذا السبب الجغرافي. فهم هادؤون ومؤدبون جداً إلا أن انفجارهم يصبح بركاناً كذلك ولهذا يمكن القول: إن الياباني يبتلع غضبه وكتمه في أعماقه مثله مثل الطاقة البركانية الكامنة تحت سطح الأرض والتي تنفجر فجأة. فالبقاء الذي عرضته سابقاً كجزء من القلة والندرة كعناصر جغرافية أحدث لدى اليابانيين القدرة الفائقة على الصبر، مثله مثل البركان الذي يغلي في الداخل، أي تحت الأرض، إلى أن يقدر الله له أن ينفجر. الياباني لديه قدرة على الصبر إذ يعمل بجد وبكد ويتحمل المشاق ويغلي في داخله؛ لأن البقاء هو شغله الشاغل، إلا أن انفجاره يختلف عن غيره من شعوب العالم والقصص التي تصلنا عند ظهور غيظهم بالانفجار قد نسميها تطرفاً وعنفاً غير معهود، إلا أن ما يمكن أن نحدد به خصائص الإدارة اليابانية هو الصبر الطويل وما يشتق من سلوكهم في توجههم نحو الأداء أو النتائج الطويلة الأمد ولا يهتمون بالنتائج القصيرة الأمد.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 66-78, 193-195.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 3-16.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤. ص٧٣ - ١٤.

العزلة والانعزال

هنالك دلالة على بعد آخر من الأبعاد الجغرافية ألا وهو العزلة، والذي يرتبط بخصائص الإدارة اليابانية ويقيم نوعاً من التداخل بينهما. ولا بد من الطرح كبداية بأن اليابان تُعَدَّ الدولة الوحيدة المنعزلة عن العالم ومن خلال تاريخها على مدى آلاف السنين وليس لها أي ارتباط حتى نهاية القرن السابع عشر إلا مع جارتيها كوريا والصين. وقد استفاد حكام اليابان على مر آلاف السنين من هذه الميزة الجغرافية باتخاذ سياسة العزلة وفصلهم لشعبهم عن العالم الخارجي، مما أوجد فرصة لتكوين صورة لأمة وشعب متماثل ومتوحد من حيث العرق واللغة والدين والثقافة والتاريخ، وأدى إلى تكوين تماثل في السياسات الاجتماعية والاقتصادية الفريدة وغير التابعة لأي بلد في العالم. هذه العزلة منذ آلاف السنين جعلت من الشعب الياباني المتجانس وحدة واحدة لا يشوبها تضارب أو تباعد أو تنافر أو تعديات عشائرية أو مذهبية أو إقليمية، مما أدى إلى سيطرة الشعب الياباني المتجانس على مقاليد الأمور السياسية والإدارية والعسكرية والتجارية دون اتكالية أو اعتمادية من الهجرة لجنسيات أخرى أو استعمارها من دول أخرى. وقد فسر حديثاً الكاتب الياباني تايشي ساكايا (Taichi Sakaiya) في كتابه الحديث بعنوان ما هي اليابان؟ What is Japan لغز المعجزة اليابانية وأسباب نهضتها الحالية بالتجانس السكاني وندرة الموارد المعدنية ومصادر الطاقة إلى جانب التغلب على الجغرافيا القاسية المتمثلة بالجو القارس والأعاصير مما أدى إلى خلق إحساس بضرورة التخلص من هذه البيئة القاسية والتغلب عليها.

هذه العزلة الجغرافية الطبيعية أوجدت على مرُ السنين لدى اليابانيين القدرة على العيش والاعتماد على الذات وتطويرها مقارنة بأي مجموعة كبيرة متميزة في

العالم، أي أن التطوير الذاتي أخذ أبعاده الذاتية الفريدة دون أي تبعية أو تقليد يذكر، ولهذا تجدنا نردد دائماً بأن اليابانيين يعتبرون شعباً متميزاً ومنفصلاً وفريداً عن الشعوب الأخرى المجاورة لمجتمعهم. لقد أوجدت العزلة لدى اليابانيين باختصار الهوية الذاتية من جهة، كما أوجدت ما قد يعتبره اليابانيون سلبياً ألا وهو الشعور بالخجل عند لقائهم مع جنسيات أخرى لانعدام التماثل معهم. ولربما أن هذه العزلة جعلت لديهم الهوس والولع الشديد بكل ما هو ياباني واحتقار لكل ما هو أجنبي من جهة. وعلى النقيض جعلت لديهم حب كل ما هو أجنبي بعد الحرب العالمية الثانية وانفتاحهم على العالم.

العزلة إذن أوجدت لدى اليابانيين القدرة الفائقة على التفريق والمقارنة بين القادم من الخارج وكيفية التعامل معه أو استيعابه وبين ما هو ذاتي محلي. وفيما إذا أخذنا بعين الاعتبار بأن الحضارات، أو أي حضارة في العالم ليست فقط معتمدة بشكل كلي على الاختراعات المحلية فإننا نؤكد أن الحضارات تعتمد كذلك على العلاقات والتأثيرات الخارجية. إن عزلتهم أجبرتهم على اختراع حضارتهم وأوجدت لديهم خصائص حضارية اجتماعية فريدة مما كان له أكبر الأثر لاحقاً في تقليد الغرب مع انشدادهم وارتباطهم بحضارتهم أو هويتهم المتميزة.

العزلة عن العالم الخارجي كونت لديهم رابطة مشتركة في الحياة مثل الألفة والمودة بما تنطوي عليه من اهتمام وعناية وتقارب بين الناس وهذا دعم التعاون والثقة بينهم. إن العزلة زرعت فيهم مشاعر الانضباط وعدم الأنانية التي يمكن المرء العيش من خلال إقامة علاقات اجتماعية وثيقة وصداقات حميمة. لقد سبق لعالم الإدارة والاجتماع الأمريكي هومانز أن ذكر بأن الألفة والمودة تُعَدُّ من المكونات الأساسية للمجتمع السليم. إن المجتمع أو الشركة التي تفتقد إلى الود والألفة

ستؤدي إلى عدم الإنتاجية وضعف الروابط. لذلك كله فإن الفعالية والكفاءة والإنتاجية اليابانية مصدرها تكوين الألفة والمودة والثقة والتي نتجت عن هذه العزلة التي لا زالت شعاراً وقيمة اجتماعية يتعامل بها اليابانيون مع الخارج.

العزلة كذلك كونت خاصية إدارية قامت الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واحتلال اليابان بإلغائها وحلها، إلا أن العلاقات بقيت بعد ذلك حتى الآن بشكل آخر، ألا وهي نظام الزيباتسو أو مجموعة الشركات الاحتكارية العائلية والمرتبطة ببنك محدد ولها موردون يدورون في فلكها. وتتميز بين هذه الشركة الكبرى وصغار الشركات التي تدور في فلكها علاقة تعاون تام ودائم ووثيق، بحيث تقوم الشركة الصغيرة بتوريد وتزويد الشركة الكبرى بكل ما تحتاج إليه من قطع كافية للتشغيل دون أن يكون لدى الشركة الكبرى مخزون باهظ التكاليف. هذه الشركة الكبرى مثل متسوي أو ميتسوبيشي مثلاً تعتمد عليها الشركات الصغرى بشكل وثيق تبدو معه كشبكة محكمة العلاقة بينهما وبين المصرف الذي يمولها.

العزلة إذن استمرت آلاف السنين وابتدأ الانفتاح مع بداية عصر النهضة المسمى بـ (عصر الإمبراطور ميجي عام ١٨٦٨). وبعد العزلة الطويلة أدى الانفتاح في عصر النهضة إلى ظهور العقدة الفوقية اليابانية نتيجة انتصاراتهم على الصين عام ١٨٩٥ وروسيا عام ١٩٠٥ مما أوصلهم إلى التحالف مع ألمانيا وإيطاليا في الحرب العالمية الثانية وانهزامهم. إن مرارة الهزيمة عام ١٩٤٥ تركت أثراً لا يمكن أن ينمحي من ذهن اليابانيين؛ لأن آثار الهزيمة من مجاعة وفاقة أدت كذلك إلى خصائص إدارية في الإنتاجية والإبداع، وأعطت زخماً في انبهارهم في استيعاب التقنية الغربية بعد العزلة التي زرعت فيهم الكبرياء والفخر بحضارتهم وقضت على عقدة الفوقية في هزيمة الحرب العالمية الثانية.

وقد سبق عصر النهضة عام ١٨٦٨ تأثيرات غربية مبكرة محدودة وبتدفق محدود في الفترة ما بين ١٥٠٠ و١٨٥٣ تمثل في وصول البرتغاليين وبعدهم الهولنديين عام ١٥٤٩ بأول بعثة تبشير مسيحية وتوريد القراصنة للبضائع الغربية والأسلحة الجديدة. إلا أن حكومة توكوجاوا آنذاك حظرت الاتصال مع الأجانب خوفاً من انتشار المسيحية وتحالف الاقطاعيين مع الأوروبيين. إلا أن تهديد الأمريكيين بفتح اليابان عندما رست سفن القائد البحري بيري عام ١٨٥٣ وتفوق مدفعيته البحرية، والتي كان عاملاً حاسماً في اقناع رجال الإقطاع والعسكر بأنه لا خيار أمامهم إلا فتح بلادهم وقبول التحدي للمنافسة الأجنبية. وعلى أثر توقيع المعاهدة عام ١٨٥٤ بين الإمبراطور وبيري والتي فتحت اليابان للغرب، صاحب اليابانيين إحساس شديد باستيعابهم للتقنية الغربية حتى لا تفقد اليابان استقلالها الوطني في مواجهة حركة الاستعمار الأوروبية. فقد أدى عجز حكومة توكاجاوا في الحفاظ على قدسية التراب الياباني أمام الاستعمار الأمريكي الأول وصد الغرباء إلى ظهور عصر النهضة للإمبراطور ميجي وإقامة حكومة مركزية والولاء للإمبراطور كقيمة متأصلة بعمق في الثقافة اليابانية، وأمكن من خلال ذلك القضاء على الإقطاع والإقليمية وبناء العسكرة تحت شعار (دولة غنية وجيش قوي) في تجنيد الفلاحين وإحلالهم مكان الساموراي وبدء التعليم الإجباري والإصلاحات الحكومية في ما يسمى بتاريخ عصر النهضة اليابانية بحركة الإصلاح الميجية. وقد حدثت عملية مشابهة في الإمبراطورية العثمانية وبعد حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨والتي سببت صدمة قوية للمجتمع المصري وأدت إلى إصلاحات عسكرية كبيرة بقيادة محمد علي باشا وأبنائه والذي تحدى وقتها السلطة العثمانية بإستانبول وأصبح يسيطر على أجزاء كبيرة من البلاد العربية كرد فعل للاحتلال الفرنسي. إن

التحول الكلي من العزلة إلى الانفتاح في اليابان مرده العنصرية اليابانية في المواجهة والوقوف أمام محاولات الاستعمار الأوروبي وحماية الاستقلال الوطني. إن المنافسة للبقاء تعبير ومفهوم وكلمة مفتاحية في الثقافة اليابانية خلال العزلة لآلاف السنين، تعززت بالانفتاح لمنافسة الغرب في حماية التراب الوطني من الاستعمار وما لبثت أن اتجهت لاحقاً عن طريق الحرب والعسكرة لاستعمار الدول المجاورة للقضاء على نقطة الضعف وندرة الأرض الزراعية كجغرافيا وندرة الموارد الطبيعية كذلك.

ولا يمكن لنا القول بأن الابتعاد عن العزلة كان سبباً رئيساً في المعجزة اليابانية، لأن الانفتاح على العالم أوصلهم إلى مرحلة الإفلاس نتيجة العسكرة والتركيز على صناعة وشراء الأسلحة. فبعد عام ١٨٦٨ المعروف بعصر الإمبراطور ميجي أو عصر النهضة اتخذت النخبة الإصلاحات في التخلص من النظام الإقطاعي والمعارضة اللاذعة لمحاربي الساموراي. وكان مصدرها جميعاً النداء الوطني الياباني (Fukoken Kyohei) دولة غنية وجيش قوي. ومع انتصاراتهم العديدة في شرق آسيا، وتحالفهم مع بريطانيا عام ١٩٠٢ وحصولهم على البوارج الحربية البريطانية والقروض من بريطانيا وأمريكا لتمويل العسكرة الحديثة التي أوصلتهم إلى مرحلة الإفلاس عام ١٩٠٥ عندما ابتدأت مفاوضاتهم السلمية مع روسيا.

وبعد هزيمة الحرب العالمية الثانية والقضاء على صناعة الأسلحة وتحويلها للصناعات التصديرية للسيارات والمنتجات الكهربائية والالكترونية وصلت إلى نتائج قياسية في الدخل القومي. فما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٨٤ ارتفع نصيب اليابان من إنتاج السيارات في العالم من ١٪ إلى ٢٣٪، وبناءً عليه ارتفع حجم الصادرات اليابانية من هذه السيارات إلى جميع أنحاء العالم بالملايين. فقد كان

الناتج الإجمالي عـام ١٩٥٢ يساوي ثلث الناتج الإجمالي لفـرنسا أو بريطانيا وفي عـام ١٩٧٢ وصل إلى أكثـر من بريطانيـا وفـرنسا مـعاً وأكـثـر من نصف الناتج الإجـمـالي لأمـريكا. ولم يـكن ذلك ممكنا دون أن تحـصل اليـابان عـلى الغطاء العسكري الأمـريكي واتجاهها نحـو الصناعة السلميـة وانعدام أي مصـروفات في ميزانية الدولة على الشأن العسكري والحربي. فمصروفات اليابان بلغت عام ١٩٨٣ (٦ر١١) بليون دولار مـقارنة بأمـريكا التي وصلت للعـام نفسه إلى ٢٣٩ بـليون دولار. أي إن صرف الفرد الـياباني على التسليح بلغ ٩٨ دولاراً فقط مـقارنة ب ١٠٢٣دولاراً للفرد الأمريكي.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 41-43

Reishcauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 88-94, 114-134.

A. J. She;rman, German-Jewish Bankers in World Politics: The Financing of the Russian Japanese War, 1983 - pp. 59-73.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 416-418.

التاريـــخ

لا بد من الإشارة في البـداية إلى أن أصل اليابانيين يعود إلى العنصـر المغولي كمـا هو مثبت من أن المغـول يشبهـونهم من حيث الشكل، إلا أن لديهم شـعور وإدراك وإحساس قوي نظراً لارتباطهم التاريخي والحضاري واللغوي مع الصين في عـصر الظلام. وكـما أن التطور الـتاريخي لنظام المركـزية الإقطاعـية وتاريخـهم الانعزالي ومن ثمَّ ظهور حركة الإصلاح الميجية والمرتبطة بالإمبراطور ميجي وبداية عصر الانـفتاح على ثقافـات وحضارة العالم، والانتـقال لتاريخ العسكرة اليـابانية وانتهـاء العسكرة بهـزيمة الحرب العـالمية الثـانية والمرحلة الاسـتعـمارية الأمريـكية والمرحلة الحاليـة لما بعد الاسـتعمـار الأمريكي تشكل بمجـملها الخلفيـة التاريخـية لليابان. ومـا يهمنا هنا ارتباط هذه الحـقبات التاريـخية بتشكيل خـصائص الإدارة اليابانية، إذ يرتبط تاريخ اليـابان بمراحله العديدة بالنقل والاستعارة والاقـتباس من الأنظمة المحيطة والغربية بشكل خاص.

ففي المرحلة التاريخية الأولى اقتبسـوا اللغة والقيم والأعراف والمفاهيم الصينية برمتها، وتركزت في النظام الملكي في وجود الإمـبراطور على قمة الهرم السياسي والديني والاجـتمـاعي. كمـا تم نقل كل مـا يتعلق بالأنظـمة والقـوانين المتعلقـة بالحكومة المركـزية من الصين. إلا أن هذه الاستعارة والاقـتباس كمـا هو ملحوظ بشكل دائم حسب التجربة اليابانية تميزت في تحويل هذا الاقتباس ليتفق مع واقعهم المعيشي. وكـان حظ اليابان في عصر الظلام قـبل أكثر من ألفي عام أنهم اقتـبسوا الحضـارة الصينية؛ لأنهـا كانت آنذاك تُعَـدُّ أكثر دولة مـتقدمـة في العالم. ودون الدخول في تفاصيل تاريخـية، فقد استطاع اليابانيون تحويل اللغـة الصينية المكتوبة إلى حروف يابانية في القـرن التاسع الميلادي مما يثبت لنا بعد ألف عـام في عصرنا

الحاضر هذه القدرة في استيعاب أي استعارة أو اقتباس ودمجها لتتفق مع حضارتهم التي بنوها عبر التاريخ.

وفي المرحلة التاريخية الثانية، تم بناء الإقطاع على اقتباسهم النظام الصيني، إلا أنه تحول هذا الاقتباس نتيجة العزلة إلى تشابهه مع الإقطاع الأوروبي بدلاً من الصيني بتركيزه على مجموعة محددة من الإرستقراطيين الذين يعتمدون في تحقيق مصدر قوتهم على رجال مخلصين محاربين يحملون السيوف باسم الساموراي، الذين استمروا حتى القرن السادس عشر مما أهلهم لمرحلة العسكرة في وقت لاحق. وهذا النظام الإقطاعي تمثل في أن يعيش الإرستقراطي/الإقطاعي ستة أشهر في العاصمة طوكيو وستة أشهر في إقطاعيته تاركاً عائلته رهينة في طوكيو تحت رحمة الحاكم المركزي مما جذر فيهم احترام السلطة على قمة الهرم. وحقق رجال الساموراي بنظامهم العسكري الصارم والضبط والربط الذي أحدثوه إلى تكوين سلوك مستقر مبني على احترام السلطة وتقسيم المجتمع إلى طبقة عليا من الإرستقراطية ومخلصيهم الساموراي ويليهم الفلاحون وفي قاعدة الهرم التجار.

وكان للغزو المغولي المعروف عامي ١٢٧٤ و١٢٨١ وعدم تمكن المغول من احتلال اليابان لأسباب تتعلق بالعاصفة الشديدة المسماة كاميكازي (Kamikaze) التي حالت دون احتلال المغول لبلادهم، أثر كبير في نمو الحس الوطني الياباني، مع العلم أن المغول احتلوا جميع الدول الشرق آسيوية بما فيها دول الشرق الأوسط. هذا الحدث جذر فيهم ولاءهم لأرضهم ومكن الساموراي بشعورهم بفوقيتهم العسكرية. أدت هذه الحقبة التاريخية إلى نمو وتطور الإقطاع وتجذير نظام الطبقات والفوقية لعسكرة الساموراي. واعتمد التجار اليابانيون على الساموراي في استخدامهم للقرصنة المعروفة ولبدء التطور التجاري الياباني آخذين بالاعتبار أن

هذه الحقبة التاريخية كانت تركز على الزراعة وأخذ الضرائب من المزارعين دون الالتفات أو الاهتمام بطبقة التجار الذين تركزت دونيتهم في إرهاقهم بالضرائب.

وجاءت المرحلة الثالثة في تغيير النظام الإقطاعي والانفتاح على العالم بظهور حركة الإصلاح والنهضة التي بدأها الإمبراطور ميجي في القرن الثامن عشر بعد أن استعاد سلطاته من العسكر الساموراي والتي تُعَدُّ بحق المرحلة الأساسية لصياغة التاريخ الياباني الحديث وبعد انعزال عن العالم دام قروناً طويلة. ولم يكن أمام اليابان إلا هذا الانفتاح بعد العزلة نتيجة التقدم التقني في الغرب بظهور السفن البخارية البرتغالية التي زارت اليابان قبل الحركة النهضوية الميجية. وركزت حركة الإصلاح الميجية على الإستراتيجية في بناء يابان غني مع عسكرة قوية مع الانفتاح على التقنية الغربية. واندثرت عام ١٨٧٣ قوة الساموراي بمنعهم من لباس السيوف وابتدء البناء التنظيمي العسكري بالاقتباس من الغرب مع النزعة إلى الصناعات الثقيلة في بناء السفن والصناعات العسكرية. ولا شك أن حركة الإصلاح الميجية تاريخياً أعطت قصب السبق لليابان في انفتاحها على التحديث والصناعة ونقل التقنية الغربية مقارنة بغيرها من دول شرق آسيا.

وجاءت بعدها مرحلة العسكرة اليابانية واحتلال الدول المحيطة حتى إن الكثيرين من التاريخيين يربطون بتمائل غريب ما تم بعد الحرب العالمية الأولى من جانب النازيين في أوروبا واليابانيين في شرق آسيا. فانتصارها على الصين وروسيا واحتلال فورموزا وكوريا ولاحقاً جنوب فيتنام وتوجيه الصناعات للآلة الحربية أوصلها إلى مرحلة استيراد الأرز، هذا إلى جانب مرحلة الكساد العالمي التي تأثرت بها اليابان كغيرها مما أدى إلى الهجرة إلى أمريكا وموت الملايين بعرض البحر خلال تلك الهجرة، وفي النهاية احتلال اليابان بعد معركة بيرل هاربر عام

١٩٤٥وقنابل هيروشيما. ما يميز هذه المرحلة أن القدرة الصناعية اليابانية تشبه القدرة الألمانية التي ابتدأت تتجه وتتحول جذرياً نحو التصنيع السلمي.

وجاءت مرحلة التحديث المعاصر من خلال الحقبة التاريخية المتمثلة بالاحتلال الأمريكي والإصلاحات الإدارية والاقتصادية التي نفذها مكارثر خلال ثماني أعوام انتهت بمنح الاستقلال عام ١٩٥٢ لليابان. وكان مكارثر يردد بحماس دائم بأن اليابان للشرق ستكون مثل سويسرا للغرب، كما أسهم بعنفوانه وقدرته القيادية الفذة بفرض الدستور الذي تم إعداده من قبل مجموعة خبراء أمريكيين بمكتبه بناءً على النظام البرلماني البريطاني وليس الأمريكي.

وخلاصة القول بأن الأثر للتاريخ الياباني في خصائص الإدارة اليابانية يتركز في ثلاثة أبعاد (أولهما) أن الاقتباس والنقل والاستعارة من الأنظمة الأخرى المحيطة أو الغربية تُعَدُّ جزءاً من التراث الياباني من حيث اقتباس اللغة الصينية والديانة الوضعية البوذية والتي ما لبثت أن تغيرت إلى لغة يابانية ودين وضعي بوذي كونفوشي مختلف عن الديانة الهندية. و(البعد الثاني) يتمثل في بناء الإنسان الياباني تاريخياً على الضبط والربط والانضباط الذاتي والنهج العسكري النابع من تراث الساموراي في التنظيم والتخطيط والرقابة الصارمة على السلوك. ولا شك أن (البعد الثالث) هو نهضة الصناعات والانفتاح على العالم الخارجي وبناء الصناعات الحربية والتي تحولت بعد الهزيمة الساحقة والاحتلال الأمريكي إلى صناعات متقدمة نتيجة الاقتباس والاستعارة والنقل عن التقنية الغربية وأقلمتها بما يتفق مع التراث الياباني.

المراجع:

Reishcauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 88-94, 114-134.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤. ص ٣٩-٤٥، ٥٥-٦٠.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٢٧-٢٩، ٥٣-٥٩.

تاريخ عصر النهضة

يبدأ العصر الحديث في اليابان بما اتفق على تسميته بعصر النهضة أو باليابانية بعصر الميجي (Meiji) عام ١٨٦٨ عندما استعاد الإمبراطور الياباني ميجي السلطة الفعلية على البلاد. وإن كانت اليابان تعيش بسلام وعزلة قبل ذلك بمائتين وخمسين سنة، إلا أنه بحق يعد عصر صياغة التاريخ الياباني. إن التحول التدريجي تاريخياً لليابان ابتدأ بعصر الميجي عام ١٨٦٨ بما كانت تتمتع به البلاد من سلام وعزلة وفقر مثلها مثل التحول الجذري لبريطانيا سنة ١٠٦٦ وأمريكا بالاستقلال عن بريطانيا عام ١٧٧٦ وكذلك فرنسا سنة ١٧٨٩، حيث تشكل هذه السنوات تطورات مهمة في تاريخ تلك الدول. والاختلاف الوحيد بين اليابان وهذه الدول أن التغير الذي حدث في اليابان لم يشهد تغيرات سياسية واجتماعية بعيدة المدى إلا بعودة السلطات كاملة لملك اليابان، ومولد التنمية الاقتصادية، وازدهار اليابان في فترة السلم والانعزال.

وقد سبق تاريخ عصر النهضة تطورات تنموية في إرساء دعائم النظام الإقطاعي في تقسيم اليابان إلى ٣٠٠ مقاطعة على كل واحدة منها حاكم يحصل على ربع غلة الأرض الزراعية. ونشأ في ذلك الوقت نظام اجتماعي طبقي يتكون من الساموراي أو المحاربين يليه طبقة الفلاحين فالحرفيين ثم التجار. كما سبق عصر الميجي الانفتاح بعد العزلة عندما زار القائد البحري الأمريكي بيري عام ١٨٥٤ وأدى إقناعه السلطات اليابانية بالتخلي عن سياسة العزلة والسعي نحو التحديث.

ومع انتهاء العزلة بعصر الميجي عام ١٨٦٨، اتضح من الإحصائيات أن نسبة

المتعلمين ارتفعت إلى ٤٣٪ للذكور و ١٠٪ للإناث، وفي عام ١٨٧٥ أتم ٥٤٪ من الذكور و ١٩٪ من الإناث التعليم الابتدائي مقارنة بإنجلترا عام ١٨٣٧ التي وصلت آنذاك إلى ٢٠٪ فقط. وساعد هذا المناخ في انتشار التعليم وتهيئة العقول لاستقبال كل جديد على التبادل الفكري باستيعاب حضارة الغرب حتى إن الإمبراطور ميجي أرسل ما لا يقل عن مائتي ياباني إلى فرنسا للدراسة في بعثات دراسية في الوقت نفسه الذي أرسل فيه محمد علي باشا من مصر مجموعة كبيرة من الشباب العربي المصري للدراسة في فرنسا، وأثمرت هذه البعثات في التطوير والتنمية اليابانية في القرن العشرين.

وخلال هذه الحقبة التاريخية في تغيير وتحديث النظام الإقطاعي وانفتاح اليابان على الأسواق الخارجية والتطوير للنظام الاقتصادي الذي يفك قيود الانعزال، ظهرت تغيرات على الطبقات الاجتماعية وأصبحت طبقة المحاربين الساموراي طبقة جديدة من البيروقراطيين والإداريين التي اتجهت إلى بناء وتنمية وتطوير المشاريع الزراعية والصناعية والتجارية العملاقة، مع بقاء نظام العائلة الذي يؤكد أهمية العمل الجماعي، لأن زراعة الأرز التي كانت سائدة تؤكد وتجذر العمل الجماعي، لأنه وبدون العمل الجماعي العائلي لا يمكن لليابانيين التزود بطعامهم الأساسي نتيجة الاعتماد على الذات وسياسة الانعزال. وساعد على ظهور التنمية الشاملة في البداية صناعة البنوك عام ١٨٧٦ كأول صناعة في اليابان سبقت صناعة النقل البحري والسكة الحديد. ولا بد من الإشارة التاريخية إلى أن الانطلاقة والبذرة المثمرة لكل الصناعات في اليابان مصدرها الرئيسي صناعة البنوك التي كانت ولا زالت المصدر الرئيسي للتطور الاقتصادي الياباني حتى الآن في تحويل المدخرات القومية إلى تنمية الصناعة. ولا بد من الإشارة هنا تاريخياً إلى أن الشركات

الاحتكارية العائلية المسماة زيباتسو انطلقت من التمويل البنكي من هذه المدخرات القومية باستخراج الفحم ومنها ميتسوي وميتسوبيشي وسوميتومو المعروفين عالمياً في العصر الحديث.

ومن السلم والانفتاح بعد الانعزال اتجهت اليابان إلى الحرب في انتصارها على الصين عام ١٨٩٤ وروسيا في عام ١٩٠٥. ومع بداية الحرب العالمية الأولى ازداد الإنتاج الصناعي خمسة أضعاف وازداد نفوذ أحفاد الساموراي في الحرب العالمية الأولى إلا أن اليابان جابهت الكثير من العقبات خلال عشرين عاماً من الكساد الاقتصادي والهجرة الواسعة إلى أمريكا وموت الملايين في عرض البحار خلال رحلة الهجرة إلى أمريكا المعروفة حتى إنها وصلت إلى مرحلة استيراد الأرز من مستعمراتها في فورموزا وكوريا. حتى إنه مع ازدياد نفوذ السلطات العسكرية ما بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية توجهت الشركات الاحتكارية العملاقة (زيباتسو) نحو الصناعات الحربية والتسليح، وأصبحت اليابان دولة حربية واستعمارها لدول مجاورة كثيرة بدلاً من كونها دولة منعزلة عن العالم.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية وإسراع قوات الاحتلال الأمريكية في تحويل الصناعات الحربية إلى صناعات مدنية حتى إن الكثيرين يرون أن شركة سوني المعروفة مصدرها الرئيسي لصناعاتها الحالية يعود للصناعات الحربية آنذاك في صناعة المناظير الحربية. ويلاحظ أنه منذ عصر الميجي بأن اليابانيين استطاعوا تحويل ما جابههم من كوارث وويلات الحروب إلى فرص للانطلاق، وخاصة بعد هزيمتهم عام ١٩٤٥ في الحرب العالمية الثانية واستعمارهم من قبل أمريكا حتى حصولهم على الاستقلال عام ١٩٥٢. ويقال: إن أمريكا ودول الحلفاء كسبت الحرب العالمية الثانية، بينما كسبت اليابان السلام وعادت إلى السلام والانفتاح

والاستقرار بعد الحرب. وهنا يلتقي التاريخ الياباني بالتاريخ الألماني بتفوقهم الحديث عالمياً لاستفادتهم من التنظيم العسكري خلال تاريخ الحرب.

الأمم المتحضرة لا تدفن تاريخها بل تبقيه حياً نابضاً في ذاكرتها لكي لا تكرر المآسي. فاليابان لم ينس تاريخه السلمي وما تحقق له من نمو واستقرار في عصر الإمبراطور ميجي أو عصر النهضة ولا يحبذ الياباني تذكيره بهزيمة الحرب العالمية الثانية واستعماره من قبل أمريكا، فهو له ذاكرة لا تعرف الصفح والنسيان ولا تقبل العزاء. الشعب الياباني استفاد من تاريخه في السلم والانعزال الذي تحول إلى الحرب والانفتاح وعاد مرة أخرى إلى السلم والانعزال الجزئي بعودته إلى جذوره. إن تاريخ عصر النهضة الميجية استخدم الانفتاح على العالم الغربي في النقل والاقتباس والاستيعاب للتقنية الغربية من أجل التوسع الاستعماري الياباني نحو الدول المحيطة فاليابان الحالية كاقتصاد رأسمالي متحرر بدون رأسماليين وسياسة ديموقراطية للحزب الواحد وبقوى استبدادية وطنية متأثرة بهزيمة الحرب العالمية الثانية آمنت أن عليها استعارة كل شيء من التقنية والإدارة والتكتيك الغربي والأنظمة السياسية الغربية البروسية والألمانية الهتلرية والأمريكية بعد استعمارها من قبل أمريكا لهدف أساسي في تحقيق البقاء والمنافسة اقتصادياً. ولم يكن الاقتباس وحده هو الأساس، بل في التوفيق والملاءمة ما بين الملامح التقليدية والثقافة اليابانية في أخلاقيات العمل بصفته مصدراً للنجاح المذهل الذي نحن في صدده.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥٢، ١٣٣-١٣٧.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٢-٦، ٢٩-٣٥.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 118-141.

Reischauer, Edwin O. The Japanees Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 78-86.

السكـــــان

هذه المقدمـة ليس لها علاقة مـباشرة بموضـوع عدد السكان كأحد خـصائص الإدارة اليابانية إلا أن اسـتعراض هذه النتائج قبـيل الخوض بأثر عدد السكان على الإدارة وبالمؤشرات الاقتصادية العالية للدول التي لا تتوافر بها ثروات طبيعية يعتبر مصـدراً بحثياً جـديداً يدحض افتراضات مـأخوذة دون جدل في علم الاقتـصاد، وهي أن الدول التي تتوفـر بها أو ذات الثروات الطبيعـية تُعَدُّ بالمقارنة قـابلة للنمو والتطور أكثر من التي لا تتوفر بها هذه الثروات.

ففي دراسة اقـتصادية مقـارنة حديثة استمـرت عشر سنوات بجامـعة هارفارد ومعـهدها المتخـصص في التجارة والاقـتصاد الدولي، وبعـد أخذ كافـة العناصر والمسببات والآثار بعين الاعتبار لدى الأكاديميين، توصلوا إلى نتيجة حاسمة مؤداها أن الدول ذات المصادر والثـروات الطبيـعية مـثل البتـرول والذهب والفضـة تنمو اقتصادياً وعلى مـدى أربعين عاماً مضت بنسبة أقل من الدول التي لا تتوافـر فيها ثروات طبيعية، أي إن اليـابان مثلاً تنمو أكثر اقتصادياً بكافـة المؤشرات الاقتصادية المعروفة بالمقـارنة بأي دولة نفطية على مدى السنين. نسـتنتج من ذلك أن للعنصر البشـري وإمكاناته وقدراته ومـعرفتـه ونسبـة زيادته المستقـرة أثراً فاعـلاً في النمو والتطوير كـما حـدث في اليابان وأثر زيادة السكان في الإنتـاج والكفاءة والعـمل الجاد.

ليس من منطلق الأمور أن نربط مـعجزة اليـابان بقدرات إنسانية خـارقة، بل بعدد غير محدود من العناصر البيئية. فالجغرافيا والتاريخ ومصادر الثروات الطبيعية وخصـائص الثروة البشرية المرتبطة بـالأرض والبيئة ثبت لنا دورهم في خـصائص

الإدارة اليابانية إذ كانوا عوامل أساسية ومشجعة لما تمكنوا كقيادة إدارية من الابتكار والإبداع في التخطيط والتنظيم والتنفيذ. فجغرافيا الهزات والزلازل وحجم الأرض القابلة للزراعة وشعب استورد ثقافة الصين كدولة عظمى آنذاك وقبل ألفي عام وبطريقة متمهلة وبانتقاء واختيار أدى إلى أن ما تم استيراده من ثقافة قد امتزج بروح يابانية. وتاريخ متخلف وإقطاع وتركيب طبقة اجتماعية مختارة أعطت الأولوية إلى طبقة ارستقراطية تتبعها طبقة الساموراي وتليها العساكر، ومن ثَّم الصناع وبعدهم المزارعين والحرفيين وفي قاعدة الهرم الاجتماعي التجار، ويأتي أقل منها طبقة العبيد من أسرى الحرب والمجرمين والأطفال المخطوفين. وإذا أضفت انعدام الثروات الطبيعية وأثرها المحفز في سلوك واتجاهات كل ياباني يريد أن يحقق لنفسه العيش في مساحة أرض صغيرة ومجموعة بشرية متجانسة للعزلة التي فرضوها على أنفسهم وحتى وصول الجنرال الأمريكي بيري عام ١٨٥٣ وبدء انبهارهم بالغرب وانتقالهم السريع إلى الصناعة والتصدير.

لم يعطِ عامل عدد السكان أهميته في دراسة وتحليل خصائص الإدارة اليابانية كعامل موقد وملهب للإبداع والابتكار من أجل تحقيق أول وأهم حاجة إنسانية في البقاء. فسلم الحاجات الإنسانية لمنظر الإدارة الأمريكي إبراهيم ماسلو يركز على أن أول مرحلة يسعى الإنسان لتحقيقها هي مرحلة الحاجة إلى البقاء وتليها الحاجة إلى الأكل والشرب والمسكن والملبس والجنس وتليها حاجات أخرى تليها بأقل أهمية في سلم الحاجات الإنسانية. اليابان جغرافيا وتاريخ وجيولوجيا وخصائص بشرية تتلخص في الأهمية الكبرى للبقاء بسبب المجاعات والزلازل والفاقة المرتبطة بعدد السكان الهائل مقارنة بغيرهم من الدول وبحجم أرض صغير جداً لا يتسع إلى هذا الكم الهائل من السكان. والتطور التاريخي لليابان يثبت لنا أن المراحل التاريخية

في القرنين السادس والسابع عشر في ظل الإقطاع والإسراف الإمبراطوري، وتركيز السلطة بيد الحكام العسكريين وأتباعهم الساموراي ذوي الثروة المتراكمة، واستغلال الطبقات الأخرى مع رغبة هؤلاء التعساء في تحقيق البقاء، مما يؤدي إلى ارتفاع الثقافة والقدرة الفائقة على التفكير والابتكار والإبداع والابتعاد عن الاسترخاء. إن الحاجة إلى البقاء أمام جغرافيا قاسية وأرض صغيرة ومنتجات غذائية من الأرض غير كافية ومصادر ثروات طبيعية قليلة إن لم تكن معدومة وتاريخ سياسي مليء بالإقطاع والمركزية وتركيز الثروات بأيدي مجموعة من الطغاة العسكريين، فإن مثل هذا الشعب يتوقد بالدوافع والحوافز لتحقيق بقاءه واختراعه لكل الابتكارات والإبداعات الممكنة في عصرنا الحديث بعد أن ابتعد عن العزلة وبنى إمبراطورية عسكرية نازية فاشية ما لبثت أن خسرت الحرب العالمية الثانية وسلمت الأرض والحكم والإدارة إلى قوات الاحتلال الأمريكي، وظهرت نتائج القدرة الاقتصادية اليابانية مع ازدياد الدفع بعد الحرب والاتجاه نحو السلم.

تذكر إحدى الدراسات التاريخية أن عدد سكان العاصمة كيوتو بلغ نصف مليون عام ١١٩٠ وهو ما لم تبلغه أية مدينة أوروبية في ذلك الوقت. وتشير إحدى الدراسات إلى تضاعف عدد السكان عام ١٧٠٠ إلى (٣٠) مليوناً . وإذا أخذنا الإحصائيات الحديثة بعدد السكان الذي وصل إلى ١٢٥ مليوناً مقارنة بسكان أندونيسيا الذي وصل إلى ٢٠٠ مليون آخذين بعين الاعتبار أن حجم الأرض اليابانية تساوي فقط ٢٠٪ من أرض أندونيسيا. فاليابان اليوم تعتبر الدولة السابعة في العالم من حيث عدد السكان، ولنا أن نضع في تصورنا حجم الأرض أمام هذا الكم الهائل من عدد السكان بالإضافة إلى أن ١٢٪ من الأرض تصلح للزراعة فقط، والذي قاسى تاريخياً من الهزات والزلازل والحروب والمجاعات ما يدعونا إلى

القول بأن هذا الشعب لم يكن لديه أية وسيلة إلا أن يبدع ويبتكر وتتكون لديه قوة دافعة لتحقيق البقاء الذي نحن بصدده على أنه وسيلة وخاصية للإدارة اليابانية. إن الانعزال أدى إلى ازدياد عدد السكان وتجانسهم وبقائهم على بقعة واحدة، والانفتاح عام ١٨٥٣ في الاستعمار الأمريكي الأول لليابان من الجنرال بيري وانبثاق عصر النهضة الحديث للإمبراطور ميجي وانفتاح اليابان على العالم وما تبعه من آفات إنسانية مرتبطة بكثرة السكان من هجرة وعسكرة وحروب توسعية لتحقيق البقاء وتوفير الغذاء لهذا العدد الهائل من السكان. فقد تضاعف عدد السكان وضاقت الجزر التي تكتنفها الجبال والتي تقل فيها الأراضي الصالحة للزراعة وسكان يصل عددهم إلى نصف عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية وعلى أرض تصل إلى ٥٪ من أرض أمريكا.

إذن لا يوجد أية وسيلة للإدارة اليابانية إلا أن تبتكر وتبدع في الاستحواذ على أية وسيلة ناجحة وممكنة تساعدهم على البقاء. ولهذا انبهر المبتعثون الأوائل في القرن التاسع عشر وبالتحديد عام ١٨٧٦ عند وصولهم إلى أوروبا بالآلاف ؛ لاكتساب المعرفة التي كانت قد ابتدأت في الغرب بما يسمى بـ (النهضة الصناعية) وظهور الآلة البخارية وحركة الإدارة العلمية ودراسات الحركة والوقت. كل هذا الزخم أدى اهتمام الإدارة اليابانية بالتركيز على الإنتاجية والكفاءة ودراسة الحركة وتنظيم الوقت لهذا الكم الهائل من السكان، الذي انتقل بنسبة ٨٠٪ من الزراعة والقرى إلى المدن. لا يمكن لهذا الكم الهائل أن يعيش إلا بالكفاءة والضبط والربط. إن أي تأخير ولمدة دقائق في أحد القطارات سيؤدي اليوم بطوكيو إلى أزمة وأمور خانقة لا يمكن تحملها. فكل إبداعات وابتكارات الإدارة اليابانية المنقولة والمستعارة والمستجدة نابعة من حاجة ماسة مصدرها عدد السكان الهائل الذي ورثته اليابان عبر السنين، والذي

أدخلها مرحلة العسكرة وأدخلها الحرب العالمية الثانية على أنها دولة متأهبة لاستعمار ما حولها لفتح آفاق لشعبها في الهجرة والحصول على الثروات الطبيعية وإيجاد مصادر لبضائعها.

وبما أن كثرة النسل لم تستمر ولم تجد تشجيعاً في اليابان أيام الساموراي الذين أخذوا عهداً على أنفسهم آنذاك وفي غمرة سلطتهم ألا يتزوج محاربهم قبل الثلاثين ولا ينجب أكثر من طفلين، إلا أن التقاليد والعادات التي لم تسمح بأن يرث البنات آباءهن، كانت تدعو إلى ازدياد النسل وصولاً إلى أبناء ذكور يحملون اسم والدهم ويرثون أملاكه. وبعد الحرب العالمية الثانية والترشيد الصناعي والبناء المتطور للصناعة الثقيلة وصناعة المعلومات، اتجه اليابانيون إلى حجم العائلة الصغير، بحيث ثبت أن نمو عدد السكان لا يصل في الغالب إلى أكثر من ١٪ سنوياً . فقبل قيام الحرب العالمية الثانية وبالتحديد عام ١٩٣٨ كان عدد سكان أمريكا ضعف عدد سكان اليابان وسبعة عشر ضعفاً للدخل القومي، وتنتج أمريكا خمسة أضعاف الحديد وسبعة أضعاف من الفحم وثمانين ضعفاً من السيارات. وبما أن الاقتصاد الياباني بمؤشراته التنموية ذات الطابع العالمي يتضاعف كل سبع سنوات، ومع ازدياد عدد السكان المنخفض عالمياً إذ تُعَدُّ اليابان ومنذ عام ١٩٧٠ أقل دولة نمو نسبي في عدد السكان، فلنا أن نقدر الفائض التنموي الذي تحقق ويتحقق لليابان. فمثلاً النمو الاقتصادي في الهند ومصر أعلى من اليابان إلا أن ما يأكل هذا النمو ازدياد عدد السكان الكبير، أي إذا ازداد عدد السكان بنسبة ١٠٪ ونمى الاقتصاد بالنسبة نفسها مثلاً فإن النتيجة الحتمية هي صفر وتجابه الهند نمواً اقتصادياً سلبياً ؛لأن نسبة نمو السكان أكثر من نسبة النمو الاقتصادي.

فقد كان معدل السكان حتى عمر الخمس عشرة سنة ٣٧٪ عام ١٩٤٠

وانخفض عام ١٩٩٥ إلى ١٨٪، كما تراجعت الولادات الصافية للمرأة الواحدة إلى (٥ر١)، أي أقل من ١ر٢ وهو المعدل الضروري لإعادة إنتاج السكان في المرحلة المعاصرة. وخلال عقد من الزمن لم يعوض ارتفاع معدل الحياة للفرد النقص في الولادات. ومع هذا التباطؤ في وتيرة نمو السكان، فإنه من المتوقع أن يصل عدد السكان إلى ١٣٦ مليوناً فقط عام ٢٠١٠، وتتوقع بعض التنبؤات بأن يتراجع عدد سكان اليابان إلى (١٠٠) مليون عام ٢٠٦٩، وهذا الرقم تعود إليه اليابان بعد أن سجلته عام ١٩٦٧ أي مائة عام.

وتجابه اليابان مع حلول عام ٢٠٠٠ تقلصاً في عدد السكان القادرين على العمل نتيجة انخفاض عدد المواليد وازدياد تعداد الأجيال المتقدمة بالسن. وهذا التسارع النسبي للمتقدمين في السن في إعداد الطبقة العاملة ممن ولدوا بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنها أجيال متعلمة ومثقفة مما ينعكس على النشاط الاقتصادي مما سيؤدي إلى تغيير النظام التقاعدي الذي حدده النظام بعمر (٥٥) سنة ورفعه إلى (٦٥) سنة خلال العامين القادمين كما تذكر بعض الدراسات.

إن الابتكارات والإبداعات الإدارية اليابانية وانتقال النظريات والأساليب والنماذج الغربية إليها لم يكن وليد عبقرية فذة، بل وليد حاجة ماسة مرتبطة بعدد السكان الهائل قبل الحرب العالمية الأولى وما تلاها من كساد اقتصادي. وجاءت الموجه الثانية للتحول الجذري لاقتصاد اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، أي بعد عام ١٩٤٥، والتي أصبحت مثالاً يحتذى به في التحديث المتوازن والمستقر. فكما دخلت مرحلة التقليد والاستعارة من الغرب قبل ذلك بقرن من الزمن بصفتها أول دولة آسيوية في الصناعة والعسكرة والاستعمار، ما لبثت أن تهدمت هذه القوة في الفترة ما بين عامي ١٩٣٧و ١٩٤٥ وانقطعت مصادرها بشكل كامل إلا أنها تمكنت

من إعادة تجهيز وتحويل البنية التحتية للصناعة بفضل القوى البشرية المؤهلة والمتعلمة والمتجانسة بفضل الابتعاد عن العسكرة والصرف السخي السابق على صناعة الأسلحة والتسليح بصفتها دولة غير مجيشة وغير مسلحة، وتقع تحت مظلة الحماية الأمريكية. لم يكن أمامهم إلا الحاجة والدافع للكفاءة الإنتاجية والضبط والربط وترتيب حركتهم وسيرهم ومواعيدهم وبدونها لن يتحقق لهم البقاء. ومع إن النظريات الإدارية انتقلت إليهم من الغرب إلا أنهم أبدعوا بما يعكس حجم بلادهم الجغرافي والقلة والندرة والكم الهائل من السكان على بقعة صغيرة فيما أسموه الأسس الخمسة للإدارة المبتدئة بحرف (S) باللغة اليابانية كما يلي:

(١) SEIRI ـ التخلص من الأشياء غير الضرورية وحسن التنظيم.

(٢) SEITON ـ وضع الأشياء حسب ترتيب ونظام أنيق وفعال.

(٣) SEISO ـ الاهتمام بالنظافة وحسن التدبير.

(٤) SEISO ـ الحرص على وضع الأشياء في أوعيتها الصحيحة.

(٥) SHITSUKE ـ الجدية في أداء العمل والانضباطية.

ولو ركزنا الذهن في هذه الأسس لوجدنا الحجم الصغير للأرض مقارنة بعدد السكان الكبير متجذرة في كل هذه الأسس الخمسة التي لا تجدها في الأسس الإدارية الغربية وغيرها. لقد تشكلت حضارة وثقافة اليابان بفعل عنصر أساسي ألا وهو التجانس السكاني أولاً وانعدام الحروب الداخلية ورافق ذلك بالطبع كما هو متعارف عالمياً بتأثر ثقافة وحضارة أي بلد في العالم في أربعة عناصر رئيسية متمثلة بالبيئة العامة للثروات الطبيعية والجغرافيا والديموغرافيا السكانية والتنظيم الاجتماعي. وقد لعب التنظيم الاجتماعي بفعل زراعة الأرز الجماعية وانعدام

الحياة الرعوية بوجود الحيوانات لمساعـدة الإنسان في الزراعة إلى الاعتمادية الكبيرة على الإنسان وإعطائـه قيمة عـالية لمهاراتـه وجهده في الإنتـاج المكثف أو الإنتاج بالجملة (Mass Production) الذي أصبح ميزة وإسـتراتيجية اعتـمدتها اليابان في العصر الحديث، والذي حقق لهم التنمـية والتطوير. كما رافق ذلك ما تكون لدى السكان من تجانس في تكوين ونشوء نسيج حيـاتي عضوي تفاعل مع هذا المجتمع المتجـانس والموحد عرقـياً بفعل التكوين والتـواصل، إذ لم تصله أية قطيعـة بفعل التعديات العشائرية والمذهبية والإقليمية المحلية المتباعدة والمتنافرة.

المراجع:

Reischauer, Edwin O. The Japanese Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 18-24, 70-71, 112-115.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 94-98, 280-283.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 30-32, 199-210.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 418.

الثروة البشرية

يقول ديورانت في موسوعة قصة الحضارة: بأن بداية علم الاقتصاد كانت بمقال نشره كانتلتون عام ١٧٣٤ بعنوان (طبيعة التجارة) وصل به إلى تعريف مصادر القيمة للثروة (إن الأرض هي المصدر التي تؤخذ منه الثروة ولكن الجهد البشري هو الذي ينتج الثروة التي تحقق صيانة الحياة ووسائل الراحة وأسبابها). ويرى ديورانت أن هذا التعريف بحد ذاته هو الذي أدى إلى النقلة النوعية في النظر إلى الثروة البشرية على أنها معيار ومصدر القيمة التي تنتج الذهب والفضة والبترول وخيرات الأرض. إن إنتاج الثروة في تحليل مصادرها واكتشاف معيار القيمة المضافة من الإنسان أدى إلى النهضة الصناعية الأولى للفترة من عام ١٧٦٠ حتى ١٨٦٠ والانتقال إلى النهضة الصناعية الثانية المسماة بالأداء التلقائي الأوتوماتيكي (Automation) للفترة من ١٨٦٠ حتى ١٩٥٥ والانتقال للنهضة الصناعية الثالثة الحالية من ١٩٥٥ وحتى الآن في توفير الجهد العقلي البشري في استخدامات الحاسب الآلي والإلكترونيات والشرائح واستخدامات الذرة.

اليابان جغرافياً بلد مليء بالهزات الأرضية والانفجارات البركانية، إذ إن الطاقة الكامنة تحت سطح الأرض تنمو حتى وقت تفجرها وبطريقة مشابهة وكأن هناك شيء يتفجر داخل الإنسان الياباني. فيقال إن الياباني هادئ ومؤدب إلا أن انفجاره يصبح بركانياً كجغرافيا بلاده، إذ يبتلع غضبه ويكتمه في أعماقة مثله مثل الطاقة البركانية الكامنة تحت سطح الأرض. كما أن هاجس القلة والندرة لثروات الأرض البركانية وحجمها الصغير المقارن بجيرانها مع هاجس البقاء بحكم ندرة الموارد الطبيعية وجغرافيا الزلازل والهزات أدت إلى نمو الإرادة لدى اليابانيين في الصبر والعمل الجاد تحقيقاً للبقاء وتركيزهم على المصلحة العامة بدلاً من المصلحة

الخاصة. ولا شك أن النظام الإقطاعي والمرتبط بالإرستقراطية والمحاربين الساموراي أدى إلى تكوين قوة اقتصادية تعود إلى القرن الخامس عشر كانت ولا زالت مصدراً ونبراساً للرأسمالية اليابانية الحالية. فقد كانت إستراتيجية الحاكم العسكري المعروف باسم توكوجاوا، يقضي بأن يعيش الإقطاعي مع عائلته في العاصمة طوكيو لمدة ستة أشهر ومن ثمَّ يعود للعيش لمدة ستة أشهر في إقطاعيته تاركاً عائلته رهينة في طوكيو قد جذر فيهم تاريخياً كثروة بشرية احترام وتقدير السلطة وعزز لديهم في تاريخهم الحديث ما كانوا يلقونه من سوء المعاملة من تسلط الحكومة على رجال الأعمال في تاريخهم في القرون السابقة.

وإذا أسلمنا بأن البشر كلهم من أصل واحد والإنسان في المجتمعات المتقدمة لايولدون وهم أكثر ذكاء من الذين يولدون في المجتمعات المتخلفة، بل إن الفارق الوحيد يرتبط في آثار الجغرافيا والتاريخ والتراث والقيم والعادات التي ترسم النمط والسلوك والاتجاهات، فإن الإنسان الياباني تفاعل مع هذه العناصر ووجه طاقته الذهنية لتنمية واتساع المعرفة بالعمل الجاد والابتكار في تكوين قاعدة أساسها الأول هو ميلاد القدرة الذاتية المحققة للإرادة. إن توجه المجتمع الياباني ممثلاً بالإنسان صنع الوضع الذي وصلوا إليه؛ لأن هذه القنوات الاتجاهية الكثيرة المبنية على بناء القدرة الذاتية بجدارة الفرد وبناء معيار ومصدر قيمته بقدر ما يمتلك من علم ومعرفة وابتكار. وبما أن عصر النهضة الصناعية الأولى في العالم ابتدء عام ١٧٦٠ حتى ١٨٦٠، فقد استفادت اليابان في بناء الإنسان الياباني مع بداية عصر الميجي عام ١٨٦٨ عندما استعاد الإمبراطور سلطاته وبدأ في النقلة النوعية لليابان مع بداية عصر النهضة الصناعية الثانية المسماة بالأداء التلقائي التي ابتدأت في العالم عام ١٨٦٠. وهذه ميزة استفاد منها الإنسان الياباني في انتقاله للمرحلة الثانية مع بداية ما اتفق على تسميته بعصر الميجي أو عصر صياغة التاريخ الياباني الحديث.

ومع أن الإنسان الياباني استفاد من عصر الميجي في انفتاحه على العالم وانتقاله إلى أوروبا لتلقي العلم والمعرفة، حتى إنه يقال: إن الإمبراطور ميجي أرسل ما يزيد عن مائة ياباني لتلقي العلم في فرنسا في الوقت نفسه الذي أرسل فيه محمد علي باشا من مصر عدد مشابه من المصريين لتلقي العلم في فرنسا. إلا أن الاتجاه نحو الحرب والاحتلال لعدد من الدول المجاورة لليابان واستعمارها من اليابان أدى إلى استخدام المعرفة والعلم للأعمال الحربية من فئة الساموراي المعروفة بالمحاربين أو العسكريين أدت إلى تطورات مرتبطة في الحرب العالمية الأولى والكساد الاقتصادي وهجرة اليابانيين الجماعية إلى أمريكا وما رافق ذلك من ذل وهوان لليابانيين الذي لم ينسوه حتى الآن عندما منعتهم أمريكا من دخولها بقواربهم ووفاة الأعداد الهائلة منهم وما تبع ذلك من هزيمة لليابان خلال الحرب العالمية الثانية وما وصل إليه الإنسان الياباني من جوع وفاقة وحرمان.

خلال مرحلة الاحتلال من عام ١٩٤٥، أي بعد الحرب الثانية وحتى اتفاقية الاستقلال الجزئي عام ١٩٥٢، اتجه المجتمع الياباني نحو بناء قدرته الذاتية في بناء صناعة سلمية متطورة وفي تحقيق إرادته وصولاً إلى القوة عن طريق الصناعة والتجارة في شراء التقنية ومن ثم امتلاكها ذاتياً . وقد أثبت التاريخ ما بين الحربين العالميتين أن اليابان لم تكن ذات خواء تقني، إذ كانت التقنية موجهة نحو الآلة الحربية وما كان عليهم إلا تحويلها إلى صناعات سلمية ويثبت لنا ذلك من مذكرات مؤسس شركة سوني إذ إنه وجه صناعة المناظير الحربية إلى ما تنتجه شركة سوني المعروفة حالياً . وما يهمنا هنا في الكيفية التي استطاعت فيها اليابان توجيه الإنسان الياباني نحو بناء قدراته الذاتية في شراء التقنية واستيعابها وامتلاكها وبناء التقنية الذاتية. فقد كان الدخل القومي عام ١٩٥٠ (٣٢) بليون دولار مقارنة بالدخل القومي لأمريكا لنفس العام البالغ ٣٨١ بليون دولار. وكان متوسط دخل

الفرد الياباني لـنفس العام ٣٨٢ دولار مقارنة بدخل الفرد الأمـريكي البالغ ٢٥٣٦ دولار.

ابتدأت الـيابان بعد الحـرب العالميـة الثانيـة في فتح البـلاد على مصـراعيـها للشركات الأمريكية لإنشاء المصانع ومنحتها مـيزات غير معهودة في مكافآت مالية لعقـود نقل التقنية لا يمكن لأي مجـتمع أن يقبل دفعـها إلا إذا كان لهذا المجـتمع توجهات كـالمجتمع الياباني أتينا إلـى ذكرها سابقاً . واتجهت الإدارة اليـابانية إلى تخصيـص ما لا يقل عن ثلاثة يابانيين للعمل مع كل خـبير أمريكي يعمـلون معه ويمشون إلى جانبه ويحـملون حقيبته ويقرؤون فكـره ومذكراته وحتى وصلت بهم إلى حد البحث في مسـوداته التي يكتبها ويرميها في سلة القمـامة في مكتبه. إلى هذا الحد من التوجهـات استطاع اليابانيون الاستفادة من العـلم والمعرفة ونقلها إلى مراحل متقدمة وصـولاً إلى بناء القدرة الذاتية في الصناعة المتطورة وقبل كل ذلك في تحقيق توجهاتهم في السلوك وصولاً إلى القدرة على تحقيق الإرادة.

وقبل وفـوق وبعد كل ذلك، لابد من الإشـارة إلى قضيـة جوهرية وعاطفـية مطروحة حـالياً للمناقشة المـوضوعية والحـوار الجاد في مجلس الشيـوخ والبرلمان الياباني وصولاً إلى أرضـية مشتركة بين مجـموعتين أحدهما تدعو إلـى استمرارية ادمان العـمل وتسميـة (عشق العمل)، والأخـرى مرتبطة بدراسات أجـرتها وزارة الصحة تنادي بالـتخفيف من إدمان العـمل لأنه أدى إلى ظاهرة اجتماعـية خطيرة بتأثيرها على الحياة العادية للثروة البشرية. فقد أجريت دراسة اجتماعية عن ظاهرة إدمـان العمل ووصلت إلى آثارها الـسلبيـة على الانتمـاء للوطن والتـوجه العـام للانتماء إلى المصنع والآلة والمكتب. وعلى أثره قامت وزارة الصحة بانشاء (٤٦٠) عيادة ومـصحة للتخـفيف من الإدمان على العـمل؛ لأنهم يرون أن المكانة الدولية الاقتصادية لليابان سـببها الثروة البشرية ولا يمكن التضحـية بها بسبب هذا الإدمان الذي سيقود بالنهاية إلى التضحية بالوطن. وعلى العكس من هذا التوجه، هنالك

فئة كبيرة ترى أن (عشق العمل) وليس إدمانه هو الذي أوصلهم إلى المكانة الاقتصادية في الأسرة الدولية. ويستدلون على اتجاهاتهم بما حدث منذ عام ١٩٨٩ عندما قررت الحكومة بتعطيل العمال يوم إضافي في الأسبوع بأجر مضاعف أن قرر العمال بشكل جماعي مواصلة العمل مع التنازل عن الأجر الإضافي. ويشيرون كذلك إلى أن مكانتهم العالمية سببها إدمان العمل والكبرياء (وليس المكابرة) اليابانية التي رفضت أية معونة من أي بلد في العالم عند حدوث الزلازل، وأرسلت خطاباً موجهاً للعالم فحواه :بأن اليابان لا تقبل التسول من بلاد العالم وأنها بقدراتها الذاتية من ثروتها البشرية قادرة على مواجهة الخسائر المادية من هذه الزلازل. ويبقى الجدال قائماً حتى الآن بين أنصار عشق العمل الذين يدعون استمراره وخصوم إدمان العمل الذين يرون أنه مرضاً نفسياً من الضروري علاجه، ولربما سيصدر التوجه العام من مجلس الدايمو خلال عام ١٩٩٨ حلاً لهذه الظاهرة الفريدة في العالم.

المراجع:

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 206-210, 278-285.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Pubblishers, 1995. pp. 30-37, 130-134.

Paul Kenedy, The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Millitary Conflict from 1500 to 2000, Unwin Hyman 1988 - pp. 369.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥٥، ١١١-١٣٧.

العسكرة اليابانية

لا يمكن لنا إدراك وفهم خصائص الإدارة اليابانية إلا في محاولة البحث فيما يكمن تحت السطح الظاهر من الحياة اليابانية، وخاصة ما وصلت إليه العسكرة من أثر في السلوك على شعب منعزل عن العالم، قانع بفقره على مدى العصور، ما أوصلته العسكرة من نتائج سلبية بهزيمته الشنعاء في الحرب العالمية الثانية. وتاريخ اليابان يعكس في جميع فصوله عن دور العسكريين التاريخي من (الشوجن) ومن ثمَّ (الساموراي) والعسكرة النظامية، ما عدا الفصل الأخير والحديث عندما تم القضاء على العسكرة مع الاحتلال الأمريكي في أغسطس ١٩٤٥. ومن اللافت للنظر أنه لا يمكن لنا أن نطالع بحوثاً عن حضارة اليابان وفلسفتها وحكمها وإدارتها ومدنيتها وأدبها دون أن يكون هناك علاقة مباشرة أو غير مباشرة للشوجن والساموراي.

يعود تاريخ العسكرة في اليابان إلى القرن الحادي عشر في تحكم مجموعة من الطغاة العسكريين على الحكم، وأطلق عليهم الشوجن، ويمثلهم كبير النبلاء العسكريين، والذي يمثل منصب حاكم اليابان العام، والذي أصبحت أسرته تتوارث هذا المنصب حتى عهد توكوجاوا الذي انقلب عليه مجموعة من صغار الساموراي وأعادوا الإمبراطور ميجي إلى السلطة عام ١٨٦٨، والذي تم تسمية عهده بعصر النهضة الحديث لليابان. وكان طغيانهم يتصف بأن أي مواطن يخرج عن الطاعة بالعصيان يتم الفتك به وبعائلته وأسرته جميعاً فور ساعته. واتصفت فلسفتهم في أفضلية النظام الإقطاعي؛ لأنه يحقق الاتزان برأيهم بين السلطة المركزية وسلطة الإقطاعي ويضمن استمرار المجتمع المطيع دون أن يتعرض لسلطان الحاكم المستبد.

وكـانت طبـقـة الساموراي تشكـل ٥٪ من عدد الـسكان ويملكون ٩٨٪ من الأراضي. وقـاعدتهم الرئيـسيـة في أن كل رجل من الـسـادة هو جندي والعكس صحيح، أي أن كل جندي هو كذلك من السادة. ومن غرائبهم أنهم كانوا يزدرون العلم ولهم امتيـازات كثيرة بإعفائهم من الضرائب وإعـانة خاصة من الأرز وليس لهم أي عمل يذكر إلا حـماية الحاكم العسكري وسـادته من النبلاء. وكان لرجل الساموراي الحق في أن يمرن سيـفه الجـديد، فيـجوز له أن يجربه فـي إنسان من الطبقـات الدنيا كما يجـوز له أن يجربه في كلب. ولم يكونوا يلتزمـون طاعةً إلا طاعة الولاء لرؤسائهم فإطاعة الرؤسـاء جزء من تشريعهم الذي وضع تلك الطاعة فوق حب الآبـاء لأبنائهم أو الأبناء لآبائهم. كمـا من المألوف عند السـاموراي أن يخرج الرجل منهم أمعاء نفسه بما يـسمى هيراكيري، إذا ارتكب خطأ أو أنه انهزم في قتال أو اضطر للاستسلام لعدوه. وتاريخياً ارتكب أربعون رجلاً من الساموراي ذلك احتجاجاً على إعادة جزيرة محتلة للصين عام ١٨٩٥ ،وكذلك عدد كبير منهم في إحـدى معـاركهم مع الروس عـام ١٩٠٥عندما وقـعوا أسـرى. وكان لهـذه الصفات مرجعية في وقت لاحق للجـيش الياباني النظامي الذي تم تجهيزه وتدريبه على أيدي الألمان في عصر الميجي في عدم الخوف من الموت.

وكانت طبـقة الساموراي مـغلقة متوارثـة وأرستقراطيـة تقف على رأس الهرم الاجتماعي يـليهم الفلاحون ثم الحرفيـون وفي قاعدة الهرم التجار. وقـد أسهموا كمـا يشير بذلك المنظر الأمـريكي في علم الاجتمـاع تالكوت بارسونز عن طريق أخلاقياتهم وتصرفاتهم العقلانية في تيسير بناء رأسمالية متميزة، إذ كانوا يستدينون من التجـار ويمولونهم كذلك. جاء حكم الإمبـراطور ميجي ليضع بناءً حـديثاً في إلغاء الإقطاع الذي أحـدثه الشوجن واتخذ شـعاراً جديداً وهو (أمة غنيـة وجيش قوي) ببناء جـيش نظامي ضخم بتدريب ومـعدات هولندية وفرنسيـة وألمانية. وثم

صياغة خطة لبناء صناعة عسكرية متقدمة، كانت لحسن المصادفة فرصة في تحويلها، إلى صناعات سلمية بعد انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية بناء على ما ورد في كتابات مؤسس شركة سوني المعروفة. هذا إلى جانب بناء تعليمي ومؤسسات مالية وتجارية حديثة ممثلة بالزيباتسو الاحتكارية على النمط الغربي.

وتُعَدُّ الحرب العالمية الأولى علامة مميزة في نمو وتطور العسكرة وسيطرتها الكاملة نتيجة الكساد العالمي الذي مر به العالم من جوع وفقر وهجرة وكوارث ومعاناة، مما أدى إلى نزعة التوسع العسكري في احتلال كثير من دول شرق آسيا من قبل اليابان واتجاه التحديث التغريبي المخطط والمدروس الذي بناه الإمبراطور ميجي إلى بناء الصناعة العسكرية. وخلال الاتجاه للتغريب، صدر قانون التجنيد الإجباري عام ١٨٧٣ بإلحاق الفلاحين في الجيش النظامي مما أغضب الساموراي وعلى أثره انتهى احتكارهم للسلاح مما أدى للانقضاض عليهم بشكل نهائي، حتى إنه يصعب على سلالة الساموراي في عصرنا الحاضر أن يعترف بأنه من هذه السلالة.

ومع استقدام المستشارين الأجانب من فرنسا وهولندا وألمانيا لتدريب الجيش النظامي الجديد من الفلاحين، مما عزز معقل العسكرة بالشعبية الواسعة لدى الريف. واتجهت اليابان إلى الفاشية والنازية واستمرت حتى هزيمتها، إذ وجدت لنفسها الكثير من الخصائص المشتركة التي تجمعها بالنازية الألمانية والفاشية الإيطالية. فاليابان مثل ألمانيا لديها شعور بالتميز القومي والتعالي والفوقية على الصين وبرصيد من الإنجازات الماضية بانعدام الهزيمة عبر تاريخها. وكان للمفكر أيكي تأثيراً على العسكرة خلال فترة الكساد الاقتصادي العالمي من عام ١٩٢٦ حتى ١٩٤٥ بانهزام اليابان. وكان لكتابه (المخطط العام لبناء اليابان) مرجعية وشهرة تتشابه مع كتاب كارل ماركس بالنسبة لروسيا الشيوعية. وكانت أفكاره

تنادي بسيطرة الدولة على كل المجتمع والتوسع الحربي ونشر المدنية والحضارة اليابانية في كافة أنحاء العالم. وقد مارست المؤسسة العسكرية دوراً مؤثراً في التغريب والحداثة وتحويل اتجاهات الفرد وربطه بالمؤسسة العسكرية بدلا من ولائه للأسرة باستخدام نظام الأسرة داخل الثكنات مع تركيز الاتجاهات على علاقة الجندي بالضابط بصفتها علاقة الأبناء تجاه آبائهم. كما ركزت المؤسسة العسكرية على أهمية العوامل المعنوية كالشجاعة والتضامن والجماعية في عملية التجنيد. وجعلت من كل مدرسة في البلاد معسكراً للتدريب الحربي ومصدراً لتجذير الحماسة الوطنية مع أن القيم اليابانية أساساً تنادي بالطاعة والنظام والولاء. فقد اجتاحت العسكرة الفاشية اليابانية الصين والكوريتين وفورموزا واحتلت منشوريا الصينية وضمتها لليابان كمستعمرة. ودلالة واضحة على بشاعة العسكرة قامت منظمة الأبحاث والتطوير التي أنشأها الإمبراطور هيروهيتو عام ١٩٣٦ في إرسال الدكتور إيشيمارو لإجراء البحوث الطبية البشعة على أبناء هذه المستعمرة، وذلك بحقنهم بالجراثيم والفيروسات للأمراض المستعصية، ومن ثم يقوم بتشريحهم لمعرفة كيفية تعامل الجسم البشري مع هذه الفيروسات لمنفعة الجنس البشري الياباني، وتقول الدراسات: إن عدد أبناء منشوريا الذين قتلهم اليابانيون عدة ملايين منهم من كانت تجرى عليهم هذه التجارب. وبعد الحرب العالمية الثانية، تم إلقاء القبض على الدكتور ايشيمارو وتم نقله إلى أمريكا لتقديم معلوماته واستخلاصاته العلمية حتى مات بسرطان الحنجرة عام ١٩٥٩.

وفي الحرب العالمية الثانية تعرضت اليابان لهزيمة كاملة لأول مرة في تاريخها وفقدت ثلاثة ملايين من أبنائها، ودمرت القوات الأمريكية ربع الثروة القومية و ٦٦ مدينة و ٣٠٪ من القدرة الصناعية و ٨٠٪ من السفن و ٤٧٪ من إمكانات توليد الطاقة الكهربائية. كما انتحر وزير الحربية وقتل وزير المالية والمفتش

العسكري العام وشقيق رئيس الوزراء في يوم الاستسلام والتسليم للقوات الأمريكية. وانتقلت اليابان إلى العداء والتشكيك بالعسكرة، واستهلت عهداً جديداً في تجريد المؤسسة العسكرية من سيطرتها بمحاكمة عشرة آلاف قيادي عسكري. وقد أسهمت أمريكا كذلك في بناء أهم مصادر الدخل إذ صرفت على سبيل المثال إبان الحرب الكورية عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ (١٣٩٠) مليون دولار التي كانت تشكل ضعفي صادرات اليابان الإجمالية آنذاك. ومع توفير نفقات التسليح بدستور ١٩٤٧ الذي ركز على بناء دولة بلا جيش وبرنامج خطة دودج في المنح والمساعدات المحدودة من أمريكا وبنك الإنشاء والتعمير الذي هدف إلى بناء يابان جديدة مسالمة يجب أن تقف على قدميها بنفسها وبالتركيز على معارضة تدخل الحكومة في الاقتصاد والنقد.

نستنتج من ذلك أن ارتباط المجتمع الياباني بالعسكرة في الضبط والربط والترتيب إلى جانب الشجاعة والعنف. ويرتبط الولاء القومي الياباني في الأساس على التجانس العرقي بما حقق الانسجام بين أفراد الشعب بما تم تجذيره من الروح العسكرية في التضحية بالحياة في ساحة الحرب بصفته جزءاً من القيم والشرف والدلالة على الولاء وانتقلت هذه الروح في التضحية في الحياة لصاحب العمل والولاء، المؤسسي. أي إن عمليات الصراع والأحلال قد جمدت فيها الأنماط القديمة، واستمرت وتكيفت وتواءمت مع انتهاء العسكرة وتلاشيها واختفائها وحل محلها المهارات المكتسبة من العسكرة مثل الضبط والربط والترتيب والولاء والطاعة لصاحب العمل وأسس التنظيم.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٧٩-٨١، ١٠٢-١٠٩، ١٢٧-١٣٠، ١٤٩-١٥٣.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Pubblishers, 1995. pp. 39-46.

Reischauer, Edwin O. The Japanees Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988.

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 182-203.

Sakaiya, Taichi. What is Japan, Contradictions and Transformations. Kondasha America, Inc. 1995. pp. 151-163.

الاحتلال الأمريكي

استمدت خصائص الإدارة اليابانية جذورها من أربعة فصول: أولها الثوابت الجغرافية والتاريخية والديانات الوضعية التي هذبت الروح. أما الفصل الثاني فهو التكوين الإقطاعي وخصائصه في العزلة وعدم الرغبة في التوسع أو التبادل التجاري مقتنعة بالزراعة واستمرارية الفن والفلسفة. وجاء الفصل الثالث بوصول الأسطول الأمريكي بقيادة الجنرال بيري إلى اليابان عام ١٨٥٣ واحتلال شواطئ اليابان مع النزعة للانفتاح ومنافسة الغرب وصولاً إلى أبعاد شبح الاستعمار الغربي، وما تبعه من عودة الإمبراطور ميجي إلى السلطة عام ١٨٦٨، والتوجه نحو الحداثة في التجارة والصناعة والبحث عن الخامات التي تفتقدها من الخارج وإيجاد منافذ لصناعتها في الأسواق الخارجية. يضاف إلى ذلك قتالها المستميت ـ بسبب ازدياد عدد السكان وصغر حجم أرض اليابان ـ للتوسع الاستعماري في احتلال جزء من الصين وهزيمتها لروسيا واحتلال كوريا وفورموزا وتايوان لتحاكي الفاشية والنازية بسيادتها على الشرق الأقصى مثلما كانت ألمانيا وإيطاليا تسعى لسيادة الغرب، وانتهى هذا الفصل عام ١٩٤٥ بهزيمة اليابان أمام الاحتلال الأمريكي. أما الفصل الرابع الذي نحن بصدده فهو الآثار الإيجابية التي أحدثتها قوات الاحتلال الأمريكية على خصائص الإدارة اليابانية خلال سبع سنوات من إصلاحات اقتصادية وإدارية كان لها أبلغ الأثر على اليابان الحديثة. وتؤكد كثير من الكتابات التاريخية أن الفصل الثالث بعصر الميجي والفصل الرابع بعصر الاحتلال الأمريكي مجتمعين يمثلون بحق عصر النهضة اليابانية.

لا شك أن بداية التغيير في الانفتاح على العلم والعالم والتوجه نحو الصناعة في عصر الميجي كان مبنياً على التخطيط المدروس بعناية فائقة للتقليل من أخطار

الفشل والقلق والمقاومة. وكانت تجربة التحديث أو التغريب أو التنمية تتم من أعلى ومن القمة أو من النخبة، كما كانت هذه التجربة نابعة من قناعة ورغبة وغير مفروضة على النخبة. وقد استفادت اليابان بطواعية من تجربة النقل والمحاكاة والاستعارة من بروسيا ومن ثمَّ من ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وتشبعت من النظم الاقتصادية والتجارية والإدارية والقضائية الألمانية، كما كانت قد تشبعت قبل ذلك من النظم الصينية في الحكم المحلي والبيروقراطية والكونفوشية. إلا أن تولية السلطة لهؤلاء الخبراء من أفراد النخبة بعد أن عادوا من الغرب أدى إلى عوامل سلبية مرتبطة بالعسكرة والاتجاه نحو الفاشية والنازية والاحتكار والتوسع وبناء آلة الحرب التي أدت إلى انهزام اليابان في الحرب العالمية الثانية.

وبانتهاء التجربة الأولى ذات الطواعية والمرتكزة على القانون والفلسفة والاتجاه الألماني، نجد اليابان بالإكراه ونتيجة الاحتلال والتبعية الأمريكية، تتجه بعد الحرب العالمية الثانية نحو البراجماتية الأمريكية وإخضاع اليابان للتوجه الديموقراطي في قيام هيئة تشريعية تعبر بحقيقة عن الصفة التمثيلية وتتحرر من هيمنة السلطة التنفيذية والبيروقراطية على كل المستويات وبصياغة دستور جديد يرتكز على دولة بلا جيش والقضاء على العسكرة من جذورها. وقام مكتب الجنرال مكارثر بعملية تطهير وإصلاح سياسي واقتصادي وتعديلات جوهرية في الأنظمة التجارية والعمالية، بالإضافة إلى نظم التعليم والاتصال. كما أدى هذا الإكراه إلى تأثيرات سيكولوجية على الشعب الياباني بالاندفاع نحو السلم والإنجاز الاقتصادي بدلاً من السمات العدوانية والتوسعية. وكان لهذا الفرض والإكراه نتائجه الإيجابية في تغيير دور النخبة من تولي السلطة إلى مساعدة السلطة المنتخبة بناء على الدستور والديموقراطية، كما أسهمت البرامج التصحيحية للاحتلال في الإقلال من السمة الأبوية للمجتمع الياباني. ولا بد من الإشارة إلى أن الاحتلال أسهم بشكل كبير

في القضاء على الرقابة المتعددة والمتزايدة على الفكر وشجع الحرية الأكاديمية وحرية التعبير مما مهد للكثيرين من الدارسين في محاكاة ونقل واستعارة النظريات الأمريكية في العلوم الإنسانية مثل الإدارة العلمية ووسائلها المتخصصة في الكفاءة والإنتاجية والتنميط والإنتاج المكثف وبطريقة تطبيقية خاصة في تجذير الشركات المتعددة الجنسية لاستثماراتها في اليابان وانتقال الخبراء الأمريكان للعمل مع اليابانيين على نقل التقنية.

إن ما قام به الجنرال مكارثر في الإكراه واستخدام الأوامر العسكرية الصارمة وبطريقة مهيمنة مع مستشاريه اليابانيين الذين كان لهم دوراً فاعلاً آنذاك في تحقيق الفعالية بمحاكاة واستعارة أنماط جديدة منطلقها الديموقراطية. ولم يكن لذلك أن يتم لولا تجريد وإلغاء وتدمير المؤسسة العسكرية الفاشية من جذورها وانتقال السلطة إلى المدنيين على أنها بداية للتحديث والتطوير الذي نشهده اليوم. ومن غرائب الصدف أن النموذج الألماني الذي ابتدأت اليابان بمحاكاته طواعية اندثر بسرعة غريبة نتيجة الإكراه السافر للنموذج العسكري واحترام سلطة الكبار على أنه محور رمزي. كما أن تجربة التنمية بالطواعية التي تتم من أعلى بواسطة النخبة الذين تولوا السلطة، كما حدث في اليابان الفاشية، يمكن لها أن تتجه نحو اليمين أو اليسار بما يختلف ورغبات الجماهير العريضة. بينما نلاحظ أن تجربة التنمية بالإكراه من الاحتلال الأمريكي في غرس بذور الديموقراطية وإلغاء العسكرة مع الجوانب الإصلاحية كافة، أضف إلى ذلك المعونات والمنح المالية الأمريكية خلال الحرب الكورية أسهمت بشكل فاعل في التوفيق ما بين القديم والحديث الذي نراه اليوم في النتائج الاقتصادية اليابانية.

ومن أهم إسهامات الاحتلال الأمريكي على خصائص الإدارة اليابانية في القضاء على الاحتكار الذي مارسته الزيباتسو، إذ كانت جميع الشركات التابعة

للشركة الأم تُعَدُّ شـركات فرعية يتم من خلالها تعـيين المديرين العامين من خارج الشركة، وكذلك أعضاء مجلس الإدارة انطـلاقا من مبدأ عدم الفصل آنذاك ما بين الملكية للشركـة وإدارتها. وعلى أثر انحلال الزيباتسـو واعتبار كل شركة بوصـفها وحدة قـائمة بحد ذاتها وليـست تابعة للشركـة الأم، ابتدأت هذه الشركة بتـعيين المديرين وأعضاء مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية من داخل الشركة نفسها، مما كان له أكبر الأثر في تكوين وتـطوير فئة المديرين المحترفين وصـولاً إلى ما وصلت إليه الدول الغربية في احتراف الإدارة. وكـانت الزيباتسو تؤكد على تعيين المديرين من خريجي القانون بجامعة طوكيو وممن لديهم خبرة في البيروقراطية. وقد غيرت لجنة الاحتلال هذا التوجـه وأعطت أهمية كبيرة إلى التأهيل الهندسي والشـخصية التي أطلق عليها شوميكر لفظ (Entrepreneur) وتعني مروج المشروع أو ذلك الشخص المجـدد والمختـرع الذي يتحـمل المخـاطرة والمجازفـة ويشـرف على تنظيم وإدارة المشروع. وأسهم ذلك كله في تكوين خصائص متـميزة للإدارة اليابانية تتماثل مع خصائص الإدارة الأمريكية من حيث النظرية والتطبيق والحركية.

وقبل ذلك، قام مـكتب الاحتلال بصفتـه جزءاً من عملية حل الزيـباتسو في تعديل نظام الشـركات مؤكداً فـيه الفصل مـا بين الملكية والإدارة، والذي لم يكن معروفـاً للنظام البروسي-الألماني، وأدى الفصل إلى ظهور طبـقة المديرين المهنيين. كما أسـهمت في إحداث نظام العمل والعمـال الياباني وانبثاق نقـابات العمال في كل شركة بدلاً مـن الارتباط في الصناعة كمـا كانت في الفترة الميجـية، ولم يكن أعضاء النقـابات يشكلون إلا ٧٪ من العمال. وتكون ترابط عضوي مـا بين الشركة والنقابة العماليـة حتى إن بعض أعضاء النقابة أصبحـوا أعضاء في مجلس الإدارة واللجنة التنفيذية وأصـبحت هناك رابطة دائمة بين العامل والشركـة والنقابة ضمن المعطيات التقليدية بالتدرج. وكان لإكراه الاحـتلال في فرض مبدأ الوظيفة الدائمة

على الشـركات اليابانـية ما يعطـي محورياً توافـق هذا المبدأ مع القـيم والأعراف اليابانيـة حتى إنه ليصعـب علينا أن نقبل أن مبدأ الـوظيفة الدائمة اليـاباني قد تم استـعارته أو إكراه الشركـات اليابانية على اسـتخدامه على أنه جـزء من الإصلاح الشامل وكـوسيلة لوقف النزيف مما خـلفه الدمار الشـامل من جوع وفـاقة وبطالة للشعب الياباني بعد الهزيمة.

وفوق ذلك، أوجد مكتب الاحتلال بديلاً فعالاً للزيباتسو في إنشاء هيئة أطلق علها اسم (Keidanren) تهدف إلى التركيز على تحـقيق أهداف ورغبات الشركات الصغيـرة والمتوسطة في علاقتهـا مع الأجهزة البيروقـراطية للتأثيرعليـها في إعداد أنظمة وسـياسات وإجراءات حـكومية إيجابيـة. وقد بلغ أعضـاؤها ١١٠ صناعة وتجارة وبيوتات مالية وبعضوية ٧٣٩ شركة كبرى في البلاد بخلاف آلاف الشركات الصغيرة. وينبثق عنها (٣٧) لجنة رئيسية متـخصصة تعمل مع صغار البيروقراطيين في الرنجي المعروف وأكـثر أعمال هذه اللجـان مع وزارتي المالية والتجـارة الدولية والصناعة (MITI) وتركز جـهودها النـفوذية والتأثيرية على الشـؤون الضريبـية وسياسـات النقد الدولية والانفتـاح. وانبثق عنها حتى عـام ١٩٨٨ ما لا يقل عن ٢٥٠ لجنة استشارية في كـافة الأجهزة الحكومية في تعيين مسـتشارين في الأجهزة الحكومية تخدم متطلبات القطاع الخاص.

أسهـمت فترة الاحـتلال الأمريكي لمدة سـبع سنوات في تجذير الديموقـراطية وانحلال العـسكرة واستخدام النخـبة من المفكرين لمساعدة سلطات الاحـتلال في تحديد معالم الاتجاهات التحديثيـة الفاعلة. وكان للقضاء على الزيباتسو ردود فعل إيجابية كثير في المهنية الإدارية والتعلم الإداري وانتقال النظريات الإدارية الأمريكية إلى حيز التطبيق عن طـريق النخبة الجديدة المختارين من الشركـات نفسها. ولا بد أن التعديلات الدسـتورية والنظم الخاصة بالشركات ونظام العـمل والاتساع الأفقي

للنقابات العمالية على مستوى الشركات مع إنشاء الهيئات الخاصة بجماعات النفوذ والتأثير كما في أمريكا أدى إلى تطوير خصائص الإدارة اليابانية.

ويتضح لنا بأن الفصلين الثالث والرابع من تاريخ عصر النهضة الياباني وتجربة التحديث في كليهما قد تمت من سلطة مركزية عليا إذ تمت تجربة التطوير والتنمية في عصر الميجي بطواعية واختيار ودراسة مخططة بواسطة النخبة التي تولت السلطة إلا أنها ما فتئت وتمركزت هذه السلطة بيد العسكر. أما في فصلها الرابع بالاحتلال الأمريكي فقد انطلقت من الإكراه المفروض بالإصلاح السياسي والاقتصادي من جهة ومن جانب النخبة اليابانية بصفتهما مستشارين لقوات الاحتلال وبرنامج دودج نتيجة شعورهم بالكارثة الكبرى المتمثلة بالهزيمة لأول مرة في تاريخهم منذ آلاف السنين ورغبتهم الابتعاد عن ويلات الحرب أولاً وقبلها ويلات الكوارث والهزات والفقر والمجاعة وبعد كل شيء إحساسهم الرئيسي بالندرة. وفوق كل شيء لا بد من إضفاء الروح القيادية الكريزمية للجنرال مكارثر الذي كان له أبلغ الأثر في دوره المتميز في وضع اللبنات الأساسية لخصائص الإدارة اليابانية الحديثة. ومع أن الاعتماد على الذات كان ولا زال الإستراتيجية الأساسية والجوهرية، إلا أنه لا شك بأن المساعدات المالية الأمريكية وغير الموجهة لليابان بل للصرف الأمريكي على الحرب الكورية، أسهمت بتنشيط الاتجاه التصديري. فعلى سبيل المثال، قامت القوات الأمريكية بشراء كميات كبيرة من الحافلات من شركة تويوتا المعروفة والتي كانت قد أعلنت إفلاسها وإغلاق مصانعها، وتكرر النهج نفسه من وزارة الدفاع الأمريكية لشركات عديدة مثلها مثل شركة تويوتا على حافة الإفلاس. وقد تكرر هذا النهج كذلك من وزارة الدفاع الأمريكية خلال حرب فيتنام مما أسهم بشكل جزئي في استمرارية انتعاش الاقتصاد التصديري الياباني.

المراجع:

Reischauer, Edwin O. Japan, The Story of a Nation, Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc.: publishers 1995. pp. 155-201.

Reischauer, Edwin O. The Japanees Today, Change and Continuity. Tokyo, Japan. Charles E. Tuttle Company Inc. 1988. pp. 105-112.

Ohmae, Kenichi. The End of Nation State, the rise of Regional Economics - How new engines of prosperity are reshaping global markets. London, Harper Collins Pubblishers, 1995. pp. 30-33.

Schaller, M. The American Occupation of Japan, New York, 1985 - pp. 280-291.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ١٣٠-١٣٧.

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٥٣-٦٤.

التوفيق والملاءمة

في البداية، لاتختلف اليابان فكراً وممارسة عن مختلف دول العالم غير الغربي في السلوك والاتجاهات الرافضة بشكل كلي لكل ما هو جديد أو كل ما هو غربي. إلا أن ما يميز اليابان عن غيرها من دول العالم بأنها تستند تاريخياً على ازدواجية فكرية أحد شقيها هو الرفض لكل ما هو غربي وتنادي بتفوق كل ما هو ياباني أو ما أسموه لاحقاً بالفكر الياباني على كل ما هو أجنبي أو غربي. ويؤكد هذا التفكير ما يعتقده اليابانيون بأن كل ما هو خارج اليابان أجنبي وما بداخلها ياباني حتى إنهم يعتقدون بأن كل محاولة من أجنبي تعلم اللغة اليابانية وثقافتها وحضارتها يطلقون عليه تعبيراً يابانياً بأنه (مهووس أو مصاب بلوثة عقلية). وعلى الشق الآخر من هذه الازدواجية يَعُدُّ بعض الكتاب والمفكرين بأن الفكر والثقافة اليابانية هي ثقافة مستقبلة فقط وغير ممكّنة لأن ترسل ثقافتها لأحد لكون البداية التاريخية هي استعارة ونقل ومحاكاة للفكر والثقافة واللغة والأنظمة والمعرفة الصينية والهندية كالديانة الوضعية كالبوذية والفلسفة الكونفوشية، إلى جانب الانفتاح على كل ما هو غربي في عهد الإمبراطور ميجي في القرن التاسع عشر وما تبعه كذلك من انفتاح جديد في التوفيق والملاءمة في الفكر الياباني، لأن التقنية الغربية تفوقت في النهاية واتجه اليابانيون بنهم لاحترامهم لهذه القوة التقنية ونقلها واستيعابها ومحاكاتها وتكوين نماذج يابانية توفيقية ما بين الأعراف والعادات والتقاليد ومتطلبات التقنية.

وإذا افترضنا دون جدل ما يُعَدُّ كافة المفكرين ببداية الانفتاح الواضح والواعي في عصر الميجي الذي بحق هو عصر صياغة التاريخ الياباني الحديث الذي انطلق من فذلكة مؤداها استعارة الوسائل والأدوات العلمية والتقنية والمصانع مع تبني

نظام أخلاقي يكفل الحفاظ على الخصوصية اليابانية ويجعلها موضع الاحترام والقبول الدائم نظراً لما لاحظه القياديون من ولع وتلهف وانبهار اليابانيين بالحضارة الغربية، وهذا يتناسق مع الانبهار الذي حدث في مصر أيام الخديوية كذلك. وقد تأكد حذرهم من المجموعة الأولى المبتعثة للدراسة والتي انبهرت بالحضارة الغربية بشكل واضح مما أدى إلى تعديل أسلوب الاختيار والانتقاء لشبيبة تتمتع بحنكة كبيرة ولا تبهرها مظاهر الغرب وتتمتع بأخلاقيات عالية وتحدد لها برنامج واضح في تلقي التعليم والتدريب المناسب. وما بين عامي ١٨٦٨-١٩٠٠، بلغ عدد أعضاء هذه البعثات ما يزيد عن ألف من كبار المسؤولين والدارسين حتى إنه يقال: بأن محمد علي باشا أرسل مجموعة تزيد عن مائتي مصري إلى فرنسا خلال الفترة نفسها التي أرسل فيها الإمبراطور ميجي عدد مشابه للدارسين اليابانيين إلى فرنسا. وكان لصدور المرسوم الإمبراطوري للتعليم عام ١٨٩٠ الذي أكد بوضوح تام التركيز على الأعراف والعادات والتقاليد اليابانية في علاقات الولاء والطاعة من قبل الابن لأبيه واحترام القانون والإمبراطور، مما أكد التوفيق ما بين الطاعة والولاء للإمبراطور والكونفوشية والروح الانضباطية العسكرية في المحاولات الأساسية للتوفيق والملاءمة وظهور كتابات أينو كواشي وزير التعليم آنذاك والذي يُعَدُّ بحق باني النظام التعليمي الياباني الحديث التي أسماها (أبتر) بالاوتوقراطية التحديثية. ومن أهم السمات لما أسماه البروفسور أبتر إحياء التراث التقليدي مع تكييفه وفق الظروف المستجدة وفي الوقت نفسه أصباغ الطابع التراثي التقليدي على الجديد الغربي الوافد والتي تُعَدُّ تنقية للتقاليد القديمة دون إهمال عن أفضل ما في النماذج المعاصرة مما أدى لأن يسميه البروفسور أبتر (التقليدية الجديدة).

إن إمكانات التوفيق والملاءمة اليابانية تعود إلى قدرة الثروة البشرية في نقل وهضم واستيعاب التقنية التي تعود إلى عام ٧٤٧ بإتقانهم صهر ولحام النحاس في

صناعتهم لتمثال نحاسي لبوذا فـاقت قدرة الهند آنذاك. ونجحت في التجربة الثانية عام ١٥٤٣ في استيراد البندقية الحربية البرتغالية، ومن ثمَّ صناعتها عام ١٥٦٥ بعد مرور (١٢) عام فقـط على استيرادها. ووصل إنتاجهم منهـا عام ١٦٠٠ إلى مائة ألف مقارنة بإنتاج فرنسا آنذاك التي كان لديها عشرة آلاف بندقية فقط. وقد وصل إنتاج مصنع مـدينة سكاي اليابانية اليومي إلى (١٥) بندقيـة وإجمالي سنوي وصل إلى ستة آلاف بندقية وتغلبت فيه على إنتاج البرتغال آنذاك. وكما نقلت عن فرنسا عام ١٨٦٨ صناعـة الحرير وفي عام ١٨٧٣ تم شراء مـصنع للحرير كاملٍ بما فـيه الطوب الخاص لبناء المصنع مع استـقدام (١٥) فني فرنسي، ومع بداية عام ١٩١٠ أصبحت اليـابان أكبر دولة منتجـة للحرير في العالم وبعد أربعين عـاماً من إنشاء المصنع. كما أخذت عن بريطانيا عـام ١٨٨٢ صناعة النسيج وتم إنشاء أول مصنع متكامل عام ١٨٨٥ وأصبحت دولة منتجة ومصدرة للنسيج من القطن الذي أصبح يضاهي مصانع مانشستر.

ومع أن كامل الاحتياطات قد جذرها عهد الإمبراطور ميجي، إلا أن الاحتلال الأمريكي أحدث تحـولات اجتماعية واقتـصادية معتمدة على تجـربة وممارسة كانت نتائجـها في النهاية تغلب التوفـيقية والملاءمـة ما بين الأعراف والعادات والتـقاليد الموروثة ومتطلبـات التحديث التي أفرزتـها محاكـاة ونقل التقنية الغربيـة، وانتهى الجدل القـائم ما بين الإفـراط في محاكـاة الغرب والتنافر مع كـل ما هو أجنبي، وأصبحت عـمليات الاستعـارة مدروسة ومخططة للتطويع والتـوفيق والملاءمة مع التقاليد والأعـراف اليابانية. كما أصبح على أثره التعـامل مع المتناقضات جزء من الفكر والسلوك اليـاباني بما أسموه (علوم غـربية وأخـلاقيات شـرقية) أو مـا تجده عنواناً وشعاراً (تكنولوجيا غربية وقيم يابانية).

وينعكس التوفيق فـيما يسمى (تماوشي) في الوصف المـؤثر للمديرين صانعي

ومتـخذي القرارات إذ إن معناها مـقزح اللون، أي إن اللون يبدو مـختلفاً اعتـماداً على الجهة التي تنظر منها، وهذا التـقزح اللوني في الموقف، هو بسبب أن الموضوع المطروح إما غامض أو معقد أو من الصعب على متخذ القرارات أن يتخذ منه قراراً أو تصريحـاً حاسماً . وكمـا أن اللعبة (قو) والتي يمارسـها اليابانيون تؤكـد عليهم التحـرك خطوة بناءً على الخطوة التي يتخذها الجـانب لآخر، ولهذا يتـصف اتخاذ القرار اليـاباني بالتأخر في المبـادرة، لأن المدير الياباني يريد أن يعـرف المبادرة أولاً حتى يستطيع أن يأخذ المنهج التوفيقي في الاستجابة للمبادرة تاركاً لنفسه سلسلة من الخيارات. ولهـذا كذلك يتم التأثير على قرارات المدير اليـاباني بالتحدث إلى طرف ثالث بصفته جزءاً من السلوك التوفيقي في التفاوض.

إن ضرورات الحياة أكدت وفرضت على اليابانيين التغيير في الأفكار والنماذج وكلها لا تفـرض مطلقاً إلغاء التـراث والثقافة المـتراكمة وخلع الأعـراف والعادات والبيـئة من سلوك واتجاهات الإنـسان. وقد حقـق اليابانيون في خـصائص الإدارة التوفيقـية ما بين التقاليد ومتطلبات الـتغيير الذي أحدثته التقنيـة والمحاكاة للغرب. ولهذا تحققت عـملية توفيقية للسلوك واتجاهات للإدارة اليابانيـة في الازدواجية ما بين القديم والجـديد وأساليب الإدارة المرتبطة بالتـقاليد والأعراف والعـادات وما فرضـته المحاكاة للتقنيـة الغربية والصناعات الحديثة، وهو ما أطلق عليـه العديد من خبراء الإدارة مـرونة الحـراك الاجتـمـاعي والنفـسي بيـسر وسـهـولة بين المهن والأدوار والوظائف، ويواكب ذلك حركة علاقـات رشيدة مبتعدة عن بعض التقـاليد المرعية دون أثر سلبي على التقاليد والأعراف والعادات المتوارثة.

المراجع:

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة فـي التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٦٧-٧٤، ٩٠-٩٤، ١١١-١١٨.

التغيير المخطط

نستطيع القول دون تجن على الحقيقة بأن كل المجتمعات المعاصرة في العالم، وفي النصف الثاني من القرن العشرين، نقلت واستوعبت بطريقة أو بأخرى موجات التحديث. وعلى أثره لا يمكن مطلقاً أن نصف مجتمعاً معيناً بأنه تقليدي صرف أو اتجه إلى الحداثة الصرفة، وإنما تجد مزيجاً من التقليدية والحداثة. فالتقليدية تعني الأفكار والمفاهيم والأنماط والقيم والأعراف والعادات المستمدة من التراث وفي تقديرها واحترامها. أما الحداثة فيقصد بها كذلك الأفكار والمفاهيم والقيم والسلوك المرتبط بالتصنيع وانتقال التقنية والتحضر والرفاهية الاقتصادية التي عادة ما يطلق عليها بالعناصر الغربية الوافدة. وترتبط الحداثة بهذا المعنى في بناء المؤسسات التنظيمية الفاعلة بأسلوب ترابطي وتكاملي وعلائقي وبتغيير مخطط من نخبته المثقفة، مما يؤدي في النهاية إلى التعايش والإحلال ما بين التقليدية والحداثة. وما نحن بصدده في خصائص الإدارة اليابانية في التغيير المخطط والمتوازن الذي تمكنت النخبة اليابانية في إحداثه والتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال حركة التغيير المعروفة بعصر الميجي عام ١٨٦٨ وما تبعها من تغييرات مفروضة على المجتمع الياباني في التوسع الحربي الاستعماري لدول شرق آسيا ونتج عنها في النهاية هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية واحتلالها من أمريكا والتغيير الإستراتيجي للسلم والصناعة حتى عصرنا الحاضر.

فكانت انطلاقة التغيير في عصر النهضة بصدور ميثاق القسم الصادر عام ١٨٦٨ والذي نادى لنبذ العادات السخيفة المضحكة والاتجاه نحو الأنماط العصرية. وأرسلت عدداً كبيراً من اليابانيين إلى ألمانيا وفرنسا لدراسة الأفكار والأنماط الغربية وهدفها المدروس والمخطط الذي يُعَدُّ أساساً لعملية التغيير وفي تكوين الدافع المبني

على الحاجة منطلقاً من الجغرافيا والتـاريخ وقلة الثروات الطبيعية والهزات الأرضية والمجاعة والفقر وازدياد عدد السكان. حتى لا يتم إثارة مشاعر القلق والانزلاق في الحداثة دون تخطيـط مدروس، فقـد اتخذت اليابان أسلوباً مـتميـزاً في اختـيارها للنخبة المثقفة التي بلغت أكثر من ألف دارس والتي تم إرسالها إلى أوروبا. وكانت عملية الاخـتيار محكمة وانـتقائية وذات أهداف واضحـة في اختيار الشخـصيات اليابـانية من هذه النخـبة، والتي تتـمتع بحنكة كـبيـرة وذكاء غـير عـادي وبقدرة استيعابـية غير منبهرة بمظاهر الحداثة السائدة في أوروبا. وركـز القادة والإمبراطور ميجي على الانتقائيـة لهذه النخبة التي ستقوم بالانتقـاء وتحديد أكثر مظاهر الحداثة ملاءمة ومتـوافقة مع التقاليد اليابانيـة. لقد كان الانبهار الياباني في الغـرب مثيلاً لانبهـار الخديوية في مصـر بالغرب، وكان عـدد الدارسين المصريين آنذاك مـساوياً لعدد اليابانيين، إلا أن تميز اليابانيين في الانتقائية والاختيار السليم لحركة التحديث والتغيير المدروسة والمخططة واضحاً وملموساً في حركة التغيير في مرحلتها الأولى والذي نلمس نتائجها في النتائج الاقتصادية المتميزة الحديثة.

وكان التـغيـير المدروس والمخطط يهـدف إلى أن هؤلاء النخبـة المنتقـاة بعناية عليهم أن يعودوا بعد إنهاء دراستهم وتدريبهم للعـمل كخبراء تنفيذيين في استعارة ومحاكاة ونقل التقنية الغربية والعمل على توفيقها وملاءمتها للتقاليد اليابانية. ولأن الاختيار المقنن للمبتعثين بحكمـة وحنكة، مع ارتباط المختارين من طبقة الساموراي التي تتمتع بالولاء والطاعـة العمياء للإمبراطور، وما تتـصف به من مواهب قادرة على تحويل الصـراع المجتمعي نحو التـحديث إلى توفيق وملاءمـة. إلا أن انتقال هؤلاء الخبراء بعد عودتهم إلى مواقع تنفيذية في السلطة وممارستها وضغوط الندرة والإحساس بالحرمان وما سماه بيرك بعـقلية الخوف من الجوع وتطلعاتهم التوسعية واستغـلال العسكريين للتحديث البـروسي والألماني النازي والإيطالي الفاشي أدى

إلى استعمارهم عدداً من الدول المحيطة للحصول على الثروات الطبيعية اللازمة لصناعة الحديد والسفن والصناعات الحربية. وقد أوصلهم ذلك في النهاية إلى الهزيمة الساحقة في الحرب العالمية الثانية وابتداء الموجة الثانية في التحديث بعد الاحتلال الأمريكي.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القدرة اليابانية على محاكاة واستيعاب التقنية الغربية قد ابتدأت في القرن الخامس عشر عندما تمكنوا من صناعة البندقية وقدرتهم الفائقة على صهر النحاس. وتبعها قبل بداية عصر النهضة المعروف بعصر الميجي في احتلال الجنرال الأمريكي بيري عام ١٨٥٣ لبعض الشواطئ اليابانية وتوقيع المعاهدة المعروفة التي أطلقت عنان الانفتاح على الصناعات والتقنية الغربية. إلا أن الموجة الأولى في التحديث ابتدأت بهذا الزخم التاريخي عام ١٨٦٨ بعصر الميجي الذي جاء إلى السلطة بمساهمة رجال الصناعة التواقين إلى نقل التقنية الغربية بشكل سريع واتجاههم آنذاك إلى ألمانيا باقتباس المناهج الألمانية الدراسية وإلحاق عدد كبير من اليابانيين المختارين بعناية فائقة للدراسة والتدريب.

وكان لآراء أحد هؤلاء المبتعثين للدراسة وهو أينو كواشي أهمية عظمى في التوفيق والملاءمة وخاصة فيما قدمه للنظام التعليمي الياباني بنظام التعليم عام ١٨٧٢ و١٨٩٠ وإلغاء المدارس الأجنبية والتركيز على الأخلاقيات والروحيات اليابانية بعد أن تعين وزيراً للتعليم وتركيزه على القيم الكونفوشية وصياغة أسس التعليم الفني والعلوم الأساسية. وكان لدوره المحوري كما يقول أبتر أثراً فاعلاً في بناء الأوتوقراطية اليابانية في إحياء التراث التقليدي مع توافقه وسمات التحديث الوافد، والذي أسماه كذلك (بالتقليدية الجديدة).

وجاءت الموجة الثانية من التغيير المدروس والمخطط بعد هزيمة اليابان بالحرب العالمية الثانية في الإكراه على التحديث من قوات الاحتلال واستئصال الأنماط

التقليدية في إلغاء العسكرة وصدور الدستور وقوانين الإصلاح. إلا أن الإكراه من الجانب الأمريكي صادفه صراع داخلي في المجتمع الياباني في الرجوع إلى الماضي والتراث والتقاليد الموروثة مثل: الرنجي في صناعة واتخاذ القرارات الجماعية وخصوصية نظام أماي الياباني في شعور القوي برعاية الضعيف. كما كان للتغيير المفروض خصائص عديدة على الثقافة اليابانية مرتبطة بالخبرات المؤلمة من الكارثة الأولى بتاريخ اليابان لأول هزيمة حرب في التحول نحو التغيير بطريقة أدت للرجوع إلى التقاليد الموروثة.

ويمكن القول بأن تقبل التغيير بعد العزلة اليابانية يُعَدُّ البذرة الأساسية لعمليات التصنيع والتحضير الذي تحقق بفضل التجانس القومي والتوجه الأساسي نحو التعليم والتعلم قبل كل شيء. ولا بد من القول بأن إرسال البعثات من الطبقة المؤهلة والمختارة بدقة متناهية من الساموراي وغيرهم من المؤهلين وما يتمتعون به من حكمة وتريث وموهبة انتقائية قد أسهمت بشكل فعال في نجاح التحديث التنموي. ولا يمكن لنا إغفال الحضارة والثقافة اليابانية في الطاعة والولاء والالتفاف حول القيادة الوطنية بكل التفاني والإخلاص مما عزز التغيير المدروس وتوفيقه وملاءمته مع التقاليد الإيجابية الموروثة. وبعد كل شيء لا بد من القول بأن التغيير المدروس والمخطط في عملية التحديث من أعلى ومن القمة ومن هذه النخبة الجماعية من الخبراء والمنتقين قد أسهم في تدعيم قيمهم التقليدية ومكانتهم الاجتماعية في الإقناع لحدوث التغيير.

المراجع:

تاكانوسا تاكامورا وبرنارد جريس، ترجمة د. صلاح العربي ومراجعة د. أحمد حسنين، التنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة، وزارة الخارجية اليابانية ١٩٨٥، ص ٥-٢٠، ٦٥-٨٤.

د. عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤، ص ٤٦-٥١، ١٠٩-١١٢، ١٢٣-١٣٠.

د. إبراهيم عبدالله المنيف، إستراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي، الرياض، دار العلوم، ١٩٩٢، ص ٧١-٧٩.